أصول الاستلزام الحواري من صنيع ابن الشجري في أماليه

د. أيمن فتحي عبد السلام زين

أستاذ النحو والصرف والعروض المساعد

كلية دار العلوم – جامعة المنيا

ملخص البحث باللغة العربية:

يعالج هذا العمل " أصول الاستلزام الحواري من صنيع ابن الشجري في أماليه" ويهدف إلى رصد استعمال اللغة في غير معناها الظاهر من وجهة نظر ابن الشجري النحوي، من خلال حديثه عن استعمال الخبر والاستخبار والأمر والنهي والنداء، ومحاولة ربط هذه الاستعمالات بالتداولية الحديثة، كما يهدف إلى بيان دور السياق المقامي بقرائنه في تحديد المقصود. هذا بالإضافة إلى التأكيد على مراعاة ابن الشجري النحوي للغة في سياق الاستعمال، ومراعاته للمخاطب والمتكلم والعلاقة بينهما.ولقد قسمت البحث إلى خمسة محاور وهي:المحور الأول :الاستلزام الحواري في التركيب الخبري، وتلاه المحور الثاني: الاستلزام الحواري في تركيب الاستفهام، ثم أعقبه المحور الثالث: الاستلزام الحواري واختلاف جهات التخاطب في تركيب الأمر، وأردفه المحور الرابع:الاستلزام الحواري في تركيب النهي، وختمت الدراسة بالمحور الخامس: الاستلزام الحواري في تركيب النداء. وتلا المحاور الخمسة خاتمة الدراسة وأهم النتائج التي توصلت إليها.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية:

This paper deals with “the principles of conversational implicature in Ibn Al-Shajari’s Dictations ‘*Amaly*’ ” and aims at taking record of the hidden meanings behind language use from Ibn Al-Shajari’s grammatical perspective, through his views on using the declarative, interrogative, (negative) imperative and vocative forms and linking them to modern pragmatics. The paper also aims at clarifying the role of situational context in determining the intended meaning in addition to assuring that Ibn Al-Shajari observed the contextual use of language, as well as the speaker and the addressee and the power relations between them. The papers falls into five sections. The first section is entitled: conversational implicature in the declarative mode, followed by the second section: conversationa implicature in the interrogative mode. The third section is about conversational implicature and the different addressees in the imperative mode, followed by the fourth section: conversational implicature in the negative imperative mode. Finally, the fifth section is entitled: conversational implicature in the vocative mode, followed by the conclusion and results of the study.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،،

فلعل مما يميز التداولية أنها تدرس الكلام الإنساني وفق مستويين أولهما المستوى الظاهر أو الجلي في تناول معاني الأقوال والخطابات – وهذا لا يعنينا في هذا العمل – وثانيهما المستوى الخفي أو المتواري، ونصيب هذا المستوى في التواصل أوفر من الظاهر، لذا عبَّر عنه ابن الشجري بأنه "فن" يقول:" وإذا تأملت ما ذكرته لك من استعمال معنى بلفظ معنى آخر، فى الكتاب العزيز وفى الشعر القديم، وفى الكلام الفصيح، وقفت من ذلك على أمر عجيب، فأولُّ فهمِك ما أذكره لك من هذا الفن، بعد ذكر أصول المعانى وفروعها." [1]

وتعتمد التداولية في ذلك على جوانبَ متعددةٍ منها المتكلم والمخاطب وكفاءة كل منهما التداولية، بالإضافة إلى الخلفية المعرفية التي يمتلكانها أو المشتركة بينهما بما تشتمل عليه من ثقافة ومعتقدات ...إلخ، وبالإضافة إلى السياق وملابساته.

فالتواصل بين المتكلم والمخاطب سواء أكان لغويا أم غير لغوي لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان قائما على الاعتقادات الخلفية المشتركة بين المتكلم ومخاطبه، فوجود مثل هذه الفرضيات ضرورة للتواصل وبدونها لا يمكن أن يكون التواصل ممكنا؛ لأن انعدامها سيستوجب صياغة صريحة للمعلومات الخلفية وراء الأقوال المنجزة. [2]

والحقيقة أن تراثنا العربي بفروعه لم يغفل عن هذين المستويين، حيث إننا وجدنا في التراث الأصولي مصطلحي المنطوق والمفهوم، كما وجدنا مصطلح الاقتضاء، كذلك في

---

[1] أمالي ابن الشجري: هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحَسَني العلوي، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩١م، ج٣٨٨/١.

[2] القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، آن ريبول، ترجمة مجموعة من الباحثين بإشراف د.عز الدين المجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م، ص٢٤٩.

التراث البلاغي والنحوي نجد مصطلح" خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، أو استعمال معنى بلفظ معنى آخر، أو التضمين. [1]

كما أن تراثنا النحوي أبدع في مراعاة المتكلم والمخاطب [2] والعلاقة بينهما أيما إبداع، فبفهم العلاقة بينهما تخطَّى حدودَ الشكل إلى مراعاة المعنى المقامي، باعتباره يعكس اللغة في وجهها المنجز،ويتجلى من خلاله فهم جهات التخاطب أو العلاقة بين المتخاطبين، ولعل دراسة ابن الشجري للاستعمال اللغوي ومعاني الكلام تثبت ذلك إن شاء الله.

والعلاقة بين هذه المصطلحات وبين ما يعرف في التداولية بالاستلزام الحواري متشابكة جدا، حتى إنَّ من الباحثين في التداولية من أطلق على الاستلزام الحواري اسم الاقتضاء التداولي مثل د. عادل فاخوري.[3]

هذا، ولقد رأيت أنَّ كلَّ من تكلموا في الاستلزام الحواري يتخذون من السكاكي(ت ٦٢٦ هـ) أنموذجا فريدا في التطبيق لهذا الاستلزام، وكأن الأمر مقتصر على البلاغيين دون غيرهم، والحقيقة أنَّ ابن الشجري(ت ٥٤٢هـ) قدَّم دراسة نظرية وتطبيقية متميزة عن الاستلزام وإن لم تسمَّ باسم الاستلزام، لكنها لم تصل للوضوح الذي وجد عن السكاكي، ولم أر من النحاة واحدا – قبل ابن الشجري في حدود علمي – جمع باب معاني الكلام في مكان واحد مثلما فعل ابن الشجري، فقد ذكر كل ما يخص خروج الكلام

---

[1] لمزيد من التفصيل حول هذه المصطلحات وعلاقتها بالتداولية انظر: دلالة الاقتضاء عند الأصوليين في ضوء نظرية التضمين التخاطبي عند جرايس، د. وليد حسين، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية ، السنة الأولى، العدد الثاني ٢٠١٠م.، وانظر: دلالة الاقتضاء بين النحو والتداولية، د. ليلى جغام، حوليات المخبر، العدد الأول، ديسمبر، ٢٠١٣م، وانظر أيضا: مقاربة تداولية لبعض العناصر اللسانية في المدونة الأصولية، د. مختار درقاوي، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مج١٢، ج٣١، ٢٠١١م.

[2] هناك إشارات صريحة كثيرة تشير إلى وعي ابن الشجري بدور المخاطب أو المستمع تحديدا في فهم ظواهر كثيرة مثل الحذف لعلم المخاطب، وعود الضمير على غير مذكور ثقة بفهم المستمع، واستعمال الأفعال بدل بعضها للعلم بما يقصدونه، وهذه المواضع لم أتحدث عنها لأن البحث لايتسع لكل هذا. انظر على سبيل المثال:ج ١/ ٢٨٤، ٩٠،ج٢ /٣٤، ٦٦، ٤٠٩، ٧٠،ج ٣/ ١١٥.

[3] انظر:الاقتضاء في التداول اللساني: د.عادل فاخوري، بحث منشور بمجلة عالم الفكر – الكويت، مج٢٠، عدد٣(أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر) ١٩٨٩م، الصفحات من ١٤١: ١٦٦.

على مقتضى الظاهر كما يسميه البلاغيون، أو الاستلزام كما يسميه التداوليون في مجلسين متتاليين في الأمالي.

ويهدف البحث إلى رصد استعمال اللغة في غير معناها الظاهر من وجهة نظر ابن الشجري النحوي، من خلال حديثه عن استعمال الخبر والاستخبار والأمر والنهي والنداء، ومحاولة ربط هذه الاستعمالات بالتداولية الحديثة، كما يهدف إلى بيان دور السياق المقامي بقرائنه في تحديد المقصود. هذا بالإضافة إلى التأكيد على مراعاة ابن الشجري النحوي للغة في سياق الاستعمال، ومراعاته للمخاطب والمتكلم والعلاقة بينهما.

كما يهدف البحث إلى بيان مدى إدراك ابن الشجري أن الخصائص اللغوية المشتركة بين فئة من الناس تحدد المعنى، فمن خلال معرفتنا المعجمية والتركيبية والدلالية يتوصل إلى ضبط معنى النص، لكنه في الوقت نفسه أدرك أنها غير كافية، إذ لا بد من معرفة ما لمعتقدات المتلفظ ومواقفه ومعتقداته وآرائه ...إلخ.

ولقد قسمت البحث إلى خمسة محاور وهي:المحور الأول :الاستلزام الحواري في التركيب الخبري، وتلاه المحور الثاني: الاستلزام الحواري في تركيب الاستفهام، ثم أعقبه المحور الثالث: الاستلزام الحواري واختلاف جهات التخاطب في تركيب الأمر، وأردفه المحور الرابع:الاستلزام الحواري في تركيب النهي، وختمت الدراسة بالمحور الخامس: الاستلزام الحواري في تركيب النداء. وتلا المحاور الخمسة خاتمة الدراسة وأهم النتائج التي توصلت إليها.

الدراسات السابقة:

لا أدعى قَصَبَ السبق في الحديث عن الاستلزام الحواري، فقد سُبِقتُ بعدد من الدراسات لكنها جميعا تتناوله إما في جهود البلاغيين وعلى رأسهم السكاكي(٦٢٦هـ) أو في نص نبويّ، أو في شخصية معاصرة من علماء التداولية، لكني لا أعلم – أحدا تحدث عنه في جهود النحاة، وهذه الدراسات هي:

١- اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم ظاهرة الاستلزام التخاطبي، بحث منشور ضمن كتاب" البحث اللساني والسيمائيات، إعداد: منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، ط١ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م.
٢- ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، كادة ليلى، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، عدد١، ربيع الأول ١٤٣٠هـ، مارس٢٠٠٩م.
٣- الاستلزام الحواري في التداول اللساني، د.العياشي أدراوي، منشورات الاختلاف، دار الأمان الرباط، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.
٤- ظاهرة الاستلزام الحواري في جواب الاستفهام في الحديث النبوي أنموذجا(دراسة تطبيقية ضمن المنهج التداولي)، عصام محمد ناصر، مجلة الثقافة والتنمية، مصر، عدد٦٠، سبتمبر ٢٠١٢م.
٥- الاستلزام الحواري في الدرس اللساني الحديث طه عبد الرحمن أنموذجا، كادة ليلى، مجلة مخبر الممارسات اللغوية، الجزائر، عدد٢١، ٢٠١٤م.

وتختلف هذه الدراسة عن تلك الدراسات في أنها تجاوزت جانب التنظير والنقد الموجه للمبادئ التي يتم في ضوئها تحليل الاستلزام الحواري مثل مبدأ التعاون لسيرل، ومبدأ التأدب لـ "لاكوف"...إلخ. وراحت تحلل كل شاهد من شواهد ابن الشجري في ضوء الجمع بين المبادئ جميعا.

وقبل أن أنهي مقدمتي أود أن أشير إلى أنني لم أقم بتوثيق شواهد الشعر من مظانها الرئيسية؛ لأن محقق كتاب الأمالي، د. محمود الطناحي- رحمه الله - قام بهذا على أكمل وجه، كما أنني وثَّقت النقول عن ابن الشجري من أماليه بجانب كل نقل مباشرة بخط صغير؛ لأنها كثيرة وستؤدي إلى إطالة البحث، كذلك فعلت مع الآيات القرآنية، والحمد لله رب العالمين.

المحور الأول في التركيب الخبري

يقول ابن الشجري:"فالخبر أوسع المعانى، وهو أن يخبر المتكلّم غيره بما يفيده معرفته، وحدّه دخول التصديق والتكذيب فيه..."(الأمالي ج١/٣٩٠) ، وقال بعبارة أخرى:" وهو أن يخبر المتكلم المكلَّم بما يفيد معرفته". (الأمالي ج١/٤٢٤)

فقد جعل ابن الشجري معيار الصدق والكذب الضابط الأول في التفرقة بين الخبر والاستخبار، لكنه لم يغفل عن كون الكلام قد يساق بطريقة الخبر لكنه يستلزم معنى آخر وفقا لمتطلبات المقام بظروفه المختلفة(الاستعمال)

وإذا كان أوستن (**Austin**)قد أكد أن قصد المتكلم هو الذي يحدد الغرض من الجملة الملفوظة، وهوالذي يوجد الفعل المتضمن في الجملة، وأن التلفظ بعبارة ما هو انعكاس لقصد باطني عند المتكلم، فإن النحاة العرب قد أكدوا على أن القصد هو الضابط الثاني في التفرقة بين الخبر وغيره من قديم الزمان، ولعل ذلك تدل عليه عبارة ابن الشجري السابقة، كما يدل عليه نصه على أن المراد بالخبر قد يكون: أمرا، أو نهيا، أمر تأدب، أمر إباحة، أمر ندب أو دعاء، أو إغراء، أو وعيد...إلخ.

وعلى هذا فكما يقول د. خالد ميلاد :" يبقى القصد في نهاية الأمر أصلح مقياس وأقوى قرينة لتمييز الإنشاء من الخبر عندما تتشابه الأعمال وتتماثل الألفاظ. ويبقى مفهوم الصدق والكذب مفهوما عاما لذا لم يكتف به النحاة "[1] وسوف ندلل على هذا من خلال خروج الخبر للمعاني المستلزمة المختلفة، وكيف وصل ابن الشجري لهذه المعاني.

١- استلزام الخبر لمعنى الأمر الواجب:

يقول ابن الشجري:" وقد ورد الخبر والمراد به الأمر، فمن ذلك فى التنزيل قوله تعالى:{وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ} ﴿٢٢٨﴾ سورة البقرة، وقوله:{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً}﴿٢٣٤﴾ سورة البقرة،

---

[1] انظر الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ص :٢٣٧، ٢٣٨.

فظاهر هذا الكلام خبر إلا أنّ علماء المسلمين اتّفقوا على أن النساء عليهنّ أن يعتددن لطلاقهنّ ثلاثة أقراء، إذا كان الحيض موجودا، وأن يتربّصن بأنفسهنّ إذا توفّى عنهنّ أزواجهنّ أربعة أشهر وعشرا، فعلم بإجماع علماء المسلمين أن المراد بذلك الأمر. (الأمالي ج١/٣٩٢)

فهنا نجد أن ابن الشجري يرى أن قوله تعالى" يتربصن بأنفسهن " في الآيتين لو أُخذا بالمعنى الحرفي لكانا خبرين، لكن المعنى المستلزم منهما هو الأمر ويستدل على ذلك بالخلفية المعرفية والعقدية المشتركة لعلماء المسلمين المستنبطة من إجماعهم على ذلك وفقا لاعتقاد المسلمين...إلخ، كما يمكن تبين استلزام الخبر للأمر هنا من مفهوم المخالفة الذي يدل عليه السؤال الآتي: هل غير المطلقات ينتظرن ثلاثة قروء ؟ والجواب لا، إذن التربص في حق المطلقة واجب وهو أمر، لكن السؤال ما الفرق بين: ولتتربص المطلقات كذا أو أي صيغة أمر نحو تربصن كذا، وبين "والمطلقات يتربصن "؟

إن إخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر، وإشعار بأنه مما يجب أن يُتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، معنى ذلك أن الحق سبحانه وتعالى حين يأمر فالأمر يصادف من المؤمنين به امتثالاً، ويُطبق الامتثال في كل الجزئيات حتى لا تشذ عنه حالة من الحالات فصار واقعا يُحكى وليس تكليفا يُطلب، وما دام قد أصبح الأمر واقعا يُحكي فكأن المسألة أصبحت تاريخا يُروى...[1]

ونظير هذه الآيات في مجيء الخبر بمعنى الأمر، قوله:{وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ} ﴿٢٣٣﴾ سورة البقرة، أى لترضع الوالدات أولادهنّ، وقوله: {وَلِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ} أى حجّوا أيّها الناس البيت، وقوله:{قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي سَوْآتِكُمْ}﴿٢٦﴾ سورة الأعراف، معناه: البسوا واستتروا عند الطّواف بالبيت، ولا تطوفوا عراة.

---

[1] انظر:الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ج ١/ ٢٧٠، وانظر: تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، ج٢/٩٨٣.

نجد في هذه الآيات أن " استعمال الخبر في مثل هذا المقام أبلغ من إنشاء الأمر، إذْ يُشْعِر بأنّه ليس من شأن الوالدات ذوات الحنان والشفقة على أطفالهنّ، وهُنَّ مؤمناتٌ بربِّهنّ أن يترُكْنَ إرْضاع أولادهنّ دون ضرورة، أو حاجة شديدة جدّاً." [1] ويمكن قول هذا المعنى في باقي الآيات.إذن مراعاة حال المؤمنين الحقيقيين تجاه كلام رب العالمين وأنهم ممن يسارعون تجاهه جعل الخطاب يكون على هذه الشاكلة.

ويقول ابن الشجري:" ومن الخبر الذى يراد به التعزية والأمر بالصبر، قوله جلّ وعلا:{ما يُقالُ لَكَ إِلاّ ما قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ}﴿٤٣﴾ سورة فصلت، أى اصبر على ما يقول لك المشركون، وتعزّ بمن كان قبلك من الرّسل الذين أوذوا. الأمالي ج١/٣٩٣)

فالمقام والحالة النفسية التي فيها النبي محمد والظروف القاسية التي عاشها من إيذاء وتعذيب واضطهاد، كما أن مقام النبي عند ربه كل أولئك جعل الخطاب القرآني يأتي بهذا الشكل الخبري مرادا به التعزية والصبر تأسيا بمن سبقه من الرسل.

ومن الخبر الذى أريد به الأمر قولهم: «أمكنك الصّيد» أى ارمه، وقولهم: «اتّقى الله امرؤ وصَنَعَ خيرا» أى ليتّق الله وليصنع خيرا. (الأمالي ج١/٣٩٣)

إن هذا التركيب لهو أوضح مثال على أن شكل الصيغة التي أتى عليها غير كاف لإدراك المقصود، فقد جاء بصيغة الماضي لحمل المخاطب على هذا الفعل كأنه أصبح واقعا أو تفاؤلا بوقوعه كما ذكر أوستن، أو يمكن القول بأنه هنا جاء بلفظ الخبر لكنه إنشاء عرفا.

ومن الخبر الذى هو أمر قول النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» أى اقرءوا فى الصّلوات الفاتحة، ومنه {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ}﴿١٨٣﴾ سورة البقرة، معناه: صوموا، وقوله:{وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ}﴿٢٨٠﴾ سورة البقرة، معناه: فأنظروه إلى ميسرته. (الأمالي ج١/٣٩٤)

---

[1] البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ج٢/٢٩٢.

إن المعنى المقصود لا يقف عند حدود المعنى الحرفي لهذه التراكيب المتمثل في نفي الصلاة لمن لم يقرأ بالفاتحة، أو عند فرض الصيام على المؤمنين أو عند بيان إنظار الدائن للمعسر حتى تتحسن ظروفه، ولكنه يتجاوز ذلك إلى أمر توجيهي من الله أي: اقرءوا فى الصّلوات الفاتحة، وصوموا رمضان، وأنظروه إلى ميسرته كما نص ابن الشجري، ولعل قرينة الصيغة التي أتى عليها التركيب لها دور كبير في بيان مقصودية الأمر منه، فكتب أي فرُض، و"لا صلاة " لا هنا نافية للجنس أي لا تقبل أي صلاة دون الفاتحة، ولذا يأمر النبي بقراءتها.

٢- استلزام الخبر لمعنى النهي:

ومن الخبر الذى أريد به النّهي قوله تعالى: {يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً} ﴿١٧﴾ سورة النور، أى لا تعودوا. (الأمالي ج١/٣٩٣)

فإذا كان الوعظ هو الْكَلَامُ الَّذِي يُطْلَبُ بِهِ تَجَنُّبُ الْمُخَاطَبِ بِهِ أَمْرًا قَبِيحًا[١] فـ«يَعِظُكُمُ» في معناها المعجمي: أي ينهاكم عن العود، ومن العلماء من قال: إن هنا مفعولا لأجله محذوفا وهو"مخافة"، أو كراهة [٢]، وسواء ارتضينا هذا المعنى أو ذاك فإن الخبر هنا ينصرف إلى النهي عن العودة لمثل هذا الكلام، لكنه قيل بأسلوب تربوي مؤثر يبين علاقة الله بعباده المؤمنين.

٣- استلزام الخبر لمعنى الأمر غير الواجب بصوره المختلفة:

١- أمر تأدُّب:

وممّا جاء بلفظ الخبر والمراد به أمر تأديب قوله تعالى: {إِنَّما كانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا}﴿٥١﴾ سورة النور، معناه: قولوا سمعنا قولك، وأطعنا حكمك.وأمّا قوله عزّ وجلّ:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ

---

[١] التحرير والتنوير لابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤ م،ج ١٨/ ١٨٢.

[٢] انظر على سبيل المثال: التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق:علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ت،٢/ ٩٦٧.

وَرَسُولِهِ وَإِذا كانُوا مَعَهُ عَلى أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتّى يَسْتَأْذِنُوهُ} ﴿٦٢﴾ سورة النور، فقال بعض المفسّرين: هو أمر معناه: استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال آخرون: هو ندب. (الأمالي ج١/٣٩٤)

لمَّا ذكر الله عزوجل قبل هذه الآيات حال المنافقين وسوء أدبهم مع رسول الله، وعدم ارتضائهم لحكمه فيما بينهم، أراد الله عزوجل أن يبين حال الفريق الآخر وهم المؤمنون، أو بعبارة أخرى أراد أن يبين ما الحال التي يرتضيها للمؤمنين تجاه الله ورسوله، فجاء بـ"إنما" التي تفيد الحصر والقصر، ثم أتى بالماضي" كان" ليدل على أن هذا بمثابة الواقع المؤكد، لكنه بطريقة غير مباشرة يقول لهم: كونوا على هذا الحال من التأدب مع نبيكم.

٢- أمر إباحة:

ومن الخبر الذى معناه إباحة، قوله: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمى حَرَجٌ وَلا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلا عَلى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهاتِكُمْ}﴿٦١﴾ سورة النور، معناه: كلوا مع هؤلاء، وليأكلوا معكم، وكلوا من هذه البيوت. (الأمالي ج١/٣٩٤)

لعل معنى الإباحة في هذه الآية مستفاد من نفي الحرج في الأكل من هذه البيوت، ونظرا لأن الكلام صادر عن الله صاحب السلطة المطلقة، فهو لا يصف ولكنه يأمر بالأكل دون حرج على من أكل ومن لم يأكل.

٣- أمر ندب :

يقول ابن الشجري:" ومن الخبر الذى معناه ندب قوله:{وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ}﴿٢٢٨﴾ سورة البقرة ، معناه: افعلوا بهنّ من المعروف مثل ما يلزمهنّ لكم، وقوله:{وَلِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ} ﴿٢٢٨﴾ سورة البقرة، معناه: أفضلوا عليهنّ وأحسنوا إليهنّ، وخذوا بالفضل." (الأمالي ج١/٣٩٤)

فهذه الآي وإن كان شكلها المباشر جاء على هيئة الإخبار فإنه لا يمكن حملها عليه، وإنما المقصود منها جميع ما يجب على الرجال من حسن معاشرة النساء، وجميع ما يجب على النساء من طاعة الأزواج.

٤- استلزام الخبر لمعنى الدعاء:

يقول ابن الشجري:" ومن الخبر الذى أريد به الدعاء قولهم: «غفر الله لك، ورحم الله فلانا، ويرحم الله فلانا» لو كان هذا خبرا على ظاهره، لكنت موجبا لرحمة الله ومغفرته للمدعوّ له، وليس الأمر كذلك، وإنما قصدت الرغبة إلى الله فى إيجاب المغفرة والرحمة له، فمن ذلك فى التنزيل قوله تعالى، حاكيا عن يوسف: {يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ} ﴿٩٢﴾ سورة يوسف، ومنه قول الشاعر:

ويرحم الله عبدا قال آمينا

وقول الآخر: (الأمالي ج١/٣٩٤)

أجمعت خلّتى مع الهجر بينا ... جلّل الله ذلك الوجه زينا

في هذه الشواهد تظهر لنا قيمة المعنى التداولي المقصود من خلال تحليل ابن الشجري، فهو يريد أن يقول إن المعنى الحرفي الظاهر" وهو الإخبار" لو كان هو المقصود لكان هذا بمثابة إخبار عن الله عزوجل من قبل العبد الضعيف والمخبر به تحيط به معرفة المتكلم لأنه لا يملكه بحدود علمه القاصر، على عكس مثلا : كتب زيد رسالة أو قام زيد، فهذا يقع في حدود علمه، لذا لاختلاف جهات المخاطبين كما ذكر في موضع آخر فإن المعنى ينصرف لمعنى الدعاء لكنه جاء بهذا الشكل بدلا من اللهم ارحم فلانا تفاؤلا بالوقوع وثقة بإجابة الله تعالى.

٥- استلزام الخبر لمعنى الإغراء:

يقول ابن الشجري:" ومما جاء فيه لفظ الخبر بمعنى الإغراء، قول عمر رضوان الله عليه: «أيّها الناس كذب عليكم الحجّ والعمرة» معناه: عليكم بالحجّ والعمرة والزموا الحجّ والعمرة، ومثله قول معقّر بن حمار البارقىّ:

وذبيانيّة أوصت بنيها ... بأن كذب القراطف والقروف

أى عليكم بالقراطف، وهى القطف، وبالقروف فاغنموهما،..." (الأمالي ج١/٣٩٤)

يقول الزمخشري في الفائق:" إنها كلمة جرت مجرى المثل في كلامهم. ولذلك لم تتصرف، ولزمت طريقة واحدة في كونها فعلا ماضياً معلقاً بالمخاطب ليس إلا.وهي في معنى الأمر، كقولهم في الدعاء رحمك الله، والمراد بالكذب الترغيب والبعث، من قول العرب كذبته نفسه إذا منته الأماني، وخيلت من الآمال ما لا يكاد يكون. وذلك ما يرغب الرجل في الأمور، ويبعثه على التعرض لها. ومن ثمة قالوا للنفس "كذوب".[1]

إن المعنى الحرفي لهذه الشواهد لا يدل على المقصود الحقيقي منها، بل ربما يدل على معنى مغاير نأخذه من كلمة الكذب، ولكن هذه الشواهد صارت بمنزلة التعبير الاصطلاحي المتعارف عليه عند الجماعة اللغوية، أو اللغة المجازية أو ذات المعنى غير الحرفي، وهو فعل لغوي غير مباشر معناه أمر يستخدم في الإغراء والحث على الشيء، وعلى هذا فالاستلزام هنا استلزام عرفي وهو" يقوم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات معينة لا تتغير مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التراكيب". [2]

٦- استلزام الخبر لمعنى الوعيد:

وممّا جاء فيه الوعيد بلفظ الخبر في التنزيل، قوله تعالى: {سَنَكْتُبُ ما قالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ}﴿١٨١﴾ سورة آل عمران، وقوله: {سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ}﴿١٩﴾ سورة الزخرف، وقوله:{سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ}﴿٣١﴾ سورة الرحمن، وقوله:{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ} ﴿١٤﴾ سورة الفجر. (الأمالي ج١/٣٩٩)

فالشكل اللغوي الحرفي للآيات يصرفها للإخبار، لكن هذا الإخبار لا ينسجم وتوجه الخطاب الإلهي، الذي يهدد هؤلاء الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء كما بالآية الأولى، وهؤلاء الذين جعلوا الملائكة إناثا كما بالآية الثانية، كما أن انصراف الآيتين الثالثة والرابعة لمعنى التهديد واضح بدلالة ما بعدهما.

---

[1] الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري، علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – لبنان، ط٢،ج٤/١٣١.

[2] آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٣٣

٧- استلزام الخبر الموجب للمنفي:

وقد ورد الخبر الموجب، والمراد به النّفى، كقول الأعشى:

أتيت حريثا زائرا عن جنابة ... فكان حريث عن عطائي جامدا

أى لم يعطني شيئا. (الأمالي ج١/٣٩٩)

فالمستمع عندما يسمع هذا البيت فإنه يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة إلى الوصول إلى ما يستلزمه الكلام على حد تعبير د. نحلة، فالقرينة تبعد السامع عن قبول المعنى اللفظي لكلمة" جامد" والذي يتغير بحسب السياق، وكما يقول د. مختار عمر:" اسم فاعل من جمُدَ ... جامد: عديم العواطف- جامد العين: بطيء التَّأثّر والانفعال، قليل الدّمع- جامد الفكر: رافض للتَّطوّر- جامد الكفّ، جامد اليد: بخيل- جامد المُحيَّا ،جامد الوجهِ، جامد السِّحْنة: قاسٍ- طبع جامد: بليد لا حيويَّة فيه- قَلْبٌ جامِد: قاسٍ- وَجْهٌ جامد: لا يبدو عليه أثرُ الانفعال. [١]

فالمتلقي يبحث عما وراء الكلام من معنى فيقول لنفسه إن الشاعر يريد أن يلقي إلي خبرا بدليل أنه ذكر جملة خبرية، والمفروض أنه ملتزم بمبدأ التعاون أي أنه لا يريد بي خداعا ولا تضليلا، فماذا يريد أن يقول؟ لابد أنه يريد أن يخلع على "حُرَيث" هذا صفة البخل، فقد أتاه زائرا عن بعد وغُربة، لكنه لم يعطه شيئا، وكان شديد البخل.

المحور الثاني

في تركيب الاستفهام

يقول ابن الشجري:" الاستخبار والاستفهام والاستعلام واحد، فالاستخبار: طلب الخبر، والاستفهام: طلب الفهم، والاستعلام: طلب العلم، والاستخبار نقيض الإخبار، من

---

[١] انظر تحليل د. نحلة لمثال" الملكة فكتوريا صنعت من حديد" ص٣٩، ٤٠. وانظر : معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ج١/٣٩٠.

حيث لا يدخله صدق ولا كذب. (الأمالي ج١/٤٠٠)، وعرفه في الموضع الثاني بقوله:" والاستخبار: أن يطلب المستخبِر من المستخبَر إخباره بما ليس عنده. (الأمالي ج١/٤٢٤)

وبناء على هذا فإن تحديد معنى الاستفهام الحقيقي (الظاهر) يكون بتطبيق مبدأ طلب العلم، أي أن المستعلِم جاهل بما يطلبه، لكن يتغير الاستفهام من طلب العلم إلى معان أخرى حسب المقام وحال كل من المتكلم والمخاطب، وهذا ما سيذكره ابن الشجري بعد بيان موقعه من الجملة، لذا يقول ابن الشجري:" وليس كلّ ما كان بلفظ الاستفهام يكون استفهاما حقيقيّا..." (الأمالي ج١/٤١٠)

موقع الاستفهام من الكلام ودلالته التداولية:

يقول ابن الشجري:" والاستفهام يقع صدر الجملة، وإنما لزم تصديره، لأنك لو أخّرته تناقض كلامك، فلو قلت: جلس زيد أين؟ وخرج محمد متى؟ جعلت أول كلامك جملة خبرية، ثم نقضت الخبر بالاستفهام، فلذلك وجب أن تقدّم الاستفهام، فتقول: أين جلس زيد؟ ومتى خرج محمد؟ لأنّ مرادك أن تستفهم عن مكان جلوس زيد، وزمان خروج محمد، فزال بتقديم الاستفهام التناقض. (الأمالي ج١/٤٠٢)

إن هذا الكلام فيه إشارة تداولية ترجع إلى الغرض من استعمال الاستفهام،" فالنظم يكون على قدر الأغراض التي يقصد إليها المتكلم"[١]، فلو أننا أخَّرنا الاستفهامَ لآخر الجملة فقلنا: جلسَ زيدٌ أينَ، بهذا لم نراع حقَّ المخاطب المستعلَم، وينقطع التواصل؛ لأننا جعلنا أول الكلام خبر فحدث لبس بالنسبة له، فرعاية حق المخاطب قائمة فيما يصنعه المتكلم بالكلام.

ولذا عندما تأتي همزة التسوية تؤخر أدوات الاستفهام فيخرج التركيب عن إرادة الاستفهام، يقول د. خالد ميلاد إن همزة التسوية تزيل دلالة الاستفهام لأن ألفاظ الاستفهام قد زحزحت عن موضعها في صدارة الكلام، وهو الموضع الذي اعتبرناه المحدد لمعنى الكلام..." [٢]

---

[١] إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية: ص٥٦.

[٢] الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة: ص٤١٦.

المعاني المستلزمة في الاستفهام:

ذكر الباحثون في التداولية أن الاستفهام باعتباره معنى نحويا قد يستخدم في مقام مناسب لمعناه الوضعي المتمثل فيما ذكره ابن الشجري" الاستخبار أو الاستعلام بمعنى أن يطلب المستخبِر من المستخبَر إخباره بما ليس عنده، لكن ذلك ليس في كل المقامات ، فقد يكون المستخبِر عالما بما يسأل عنه، فهنا يستلزم أو يقتضي الاستفهام معنى آخر، وهكذا، فالاستفهام وظيفة تداولية لها أغراض ومقاصد كثيرة في كلام العرب، وهذا لم يكن غريبا على النحاة، فقد وسَّع ابن الشجري من بيانه للمعاني التي يستلزمها أسلوب الاستفهام كما فعل مع الخبر، وهذا في رأيي راجع لكثرة اللجوء إلى هذا الباب في كلام الناس، لذ يقول:"وقد ورد الاستفهام بمعان مباينة له" أي مختلفة للمعنى الحرفي الذي يدل عليه ظاهر الكلام.كما أن في هذا دليلا على إدراك النحاة لظروف الاستعمال المختلفة من تكلُّم وخطاب والعلاقة بينهما، وحال كل منهما...إلخ. وهذا المعاني المستلزمة من الاستفهام هي:

١- مجيئه بمعنى الأمر:

يقول ابن الشجري:"فمن ذلك مجيئه بمعنى الأمر، كقوله تعالى:{فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}﴿٩١﴾ سورة المائدة، أى انتهوا، ومثله:{أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ} ﴿٢٢﴾ سورة النور، أى أحبّوا هذا، وكذلك {أَفَلا تَذَكَّرُونَ} ﴿٣﴾ سورة يونس أى تذكّروا، و{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ} ﴿١٦﴾ سورة الحديد، أى اخشعوا،{وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ} ﴿٢٠﴾ سورة آل عمران، أى أسلموا،{وَما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ} ﴿٧٥﴾ سورة النساء أى قاتلوا. (الأمالي ج١/٤٠٣)

وقبل أن نحلل هذه الآيات يمكن أن نضع بعض القواعد التي اقترحها سورل[1] ورآها منظمة لطرق تحقيق الأفعال الإنجازية غير المباشرة إلى جانب مبدأ التعاون الذي اقترحه من قبل، من هذه القواعد:

---

[1] التداوليات علم استعمال اللغة: ١٦٩، ١٧٠.

القاعدة الثانية: يستطيع المتكلم صياغة فعل توجيهي غير مباشر إما عن طريق التساؤل عن المحتوى القضوي أو عن طريق إثبات ذلك المحتوى، مثاله:

ـ هل ستسكت؟ (مقصود به الأمر بالسكوت)

ـ ستسكت أنت ؟(مقصود به الأمر بالسكوت)

عندما نأتي لنحلل قوله تعالى" فهل أنتم منتهون " يمكن تطبيق القاعدة الثانية التي ذكرها سيرل" يستطيع المتكلم صياغة فعل توجيهي غير مباشر إما عن طريق التساؤل عن المحتوى القضوي أو عن طريق إثبات ذلك المحتوى " فالآيات نجدها وردت في سياق الحديث عن الخمر، وقد بيَّن قبلها حكم الخمر بأنها رجس من عمل الشيطان، ثم بيَّن ما ينبغي فعله تجاهها وهو الاجتناب" فاجتنبوه " ثم تأتي هذه الآية لتؤكد أثر شربها في المجتمع، ثم تختم بهذا القول الرقيق الرقراق" فهل أنتم منتهون" ، فالله عزوجل لا يستفهم عن مدى انتهائهم من عدمه، لكن المقصود هو الأمر أي انتهوا كما ذكر ابن الشجري. لذا قال سيدنا عمر" انتهينا يا رب. كذلك في الآيات الأخرى يخرج الاستفهام عن المعنى الحرفي له إلى معنى الأمر، أي: اخشعوا لذكر الله وأسلموا لله، وقاتلوا في سبيل الله، لكنه جاء بلفظ الاستفهام لطبيعة المقام المتمثل في مكانة المؤمنين عند ربهم.

ومما جاء فى الشعر من مجيء الاستفهام بمعنى الأمر قول الأعشى:

ألستَ منتهِيًا عن نَحْتِ أثْلَتِنا ... ولستَ ضائرَها ما أطَّتِ الإبلُ

أى انته عنّا فلست تضرّنا. (الأمالي ج١/٤٠٣)

فالشاعر لا يستفهم عن مدى انتهائه عن ذمه وانتقاصه لهم لأنه معلوم وواقع، وإنما يقصد أمره بالانتهاء مهددا له بأنه مهما أتى من قوارع الطعن فلن يضر أصلهم الشامخ مدى الدهر.

وممّا جاء بمعنى الأمر بالتنبّه قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ} ﴿٢٥٨﴾ سورة البقرة، {أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ}﴿٤٥﴾ سورة الفرقان،{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ}﴿٢٤٣﴾ سورة البقرة، كلّ هذا بمعنى تنبّه على هذا،

واصرف فكرك إليه، واعجب منه. ويكون تنبيها على الشّكر كقوله: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى}﴿٦﴾ سورة الضحى. (الأمالي ج١/٤٠٣)

نجد أيضا في هذه الآيات أننا لا نستطيع تداوليا حمل الكلام على الاستفهام(من قبل الله الذي يعلم كل شيء) لأن الآية الأولى لما تحدثت عن ولاية الله للمؤمنين، وإخراجه لهم من الظلمات إلى النور، وعلى العكس منهم الكافرون، جاءت تلك الآية في معرض عرض الدليل على ذلك، وتدعو إلى التنبه وصرف الفكر والتعجيب من ذلك.

كذلك الآية الثانية: عندما نتدبر ما قبلها من عرض إهلاك الأمم السابقة لأنهم لم يتعظوا من آيات الله في الكون، فتأتي هذه الآية لتدعو النبي وقومه إلى التنبه لآيات الله وصرف الفكر فيها والتعجب من حال من سبقهم، كما أن قوله:" ألم تر " جرى مجرى التعجب في لسانهم.

وكما يقول ابن عاشور:" أَنْ يَكُونَ الِاسْتِفْهَامُ دَاخِلًا عَلَى نَفْيِ الْفِعْلِ وَالْمُرَادُ حُصُولُ الْإِقْرَارِ بِالْفِعْلِ لِيَكُونَ التَّقْرِيرُ عَلَى نَفْيِهِ مُحَرِّضًا لِلْمُخَاطَبِ عَلَى الِاعْتِرَافِ بِهِ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ لَا يَرْضَى أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَجْهَلُهُ..." [1]

٢- ويكون توبيخا:

كقوله: {أَكَذَّبْتُمْ بِآياتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِها عِلْماً}﴿٨٤﴾ سورة النمل، {أَفَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ}﴿٧٢﴾ سورة النحل،{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ}﴿٢٨﴾ سورة البقرة {أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا} ﴿٢٠﴾ سورة الأحقاف..." (الأمالي ج١/٤٠٤)

فليس القصد في هذه الآيات الاستفهام الذي دلت عليه صورتها الحرفية، ولكن المقام هو الذي يقود إلى المعنى، فعندما يتوجه هذا السؤال إلى الكافرين كما بالآية الأولى وهم يعرضون على النار ففيه معنى التوبيخ والتقريع.

وقد جاء التوبيخ فى الظاهر لغير المذنب، مبالغة فى تعنيف فاعل الذنب، وفى تكذيبه، كقول الله سبحانه لعيسى عليه السلام:{أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اِتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ

[1] التحرير والتنوير: ج٣/٢٠٨.

دُونِ اللهِ}﴿١١٦﴾ سورة المائدة، وبّخه، والمراد بذلك تكذيب قومه، ومثله:{أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادِي هؤُلاءِ}﴿١٧﴾ سورة الفرقان. (الأمالي ج١/٤٠٤)

هذا الكلام خطاب لسيدنا عيسى كما بالآية الأولى، وللملائكة كما بالثانية، لكنه تقريع للكفار، وارد على المثل السائر: "إيّاك أعنى واسمعي يا جاره"[1]، فالغرض التداولي هنا من الاستفهام توبيخ المذنب على لسان غيره، مع علم الله الكامل بأنه منزه عن هذا القول والمراد منه المبالغة في تعنيف الفاعل.

٣- استلزام الاستخبار لمعنى الخبر:

وقد جاء الاستخبار والمراد به الخبر الموجب، كقوله تعالى:{أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ}﴿٦٨﴾ سورة العنكبوت، أى جهنّم مثواهم، وكقوله: {فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} ﴿٣٥﴾ سورة يونس، أى قد حكمتم بالباطل، حين جعلتم لله ما تكرهونه لأنفسكم، وجاء بمعنى الخبر الموجب فى قوله: {أَلَيْسَ اللهُ بِكافٍ عَبْدَهُ}﴿٣٦﴾ سورة الزمر، المعنى: الله يكفى عبده، و{هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكّى}﴿١٨﴾ سورة النازعات، أى أدعوك إلى أن تزّكى.(الأمالي ج١/٤٠٥)

فهذه الآيات جميعا وإن كانت استخبارا في الظاهر لكن الله عز وجل لا يسأل عن ذلك، بل يقصد التقرير بأن جهنم مثوى الكافرين، في الأولى، وتقرير أنهم حكموا بالباطل، وتقرير أنه يكفي عباده، لأن هذه التقريرات من المسلمات المعروفة بحيث يقر بها كل من يسأل عنها. لكن هذه هي طبيعة أسلوب القرآن يوصل المعنى المطلوب لكن بطريقة غير مباشرة لا سيما في مواطن الحجاج أو الرد على الكافرين.

ولنا أن نقارن بين "هل لك إلى أن تزكى" بهذا الأسلوب غير المباشر، وبين قوله له مباشرة" أدعوك إلى أن تتزكى" فالأول فيه من حسن الأدب والتطلف واللين ومراعاة المخاطب وهو فرعون الذي يدعي أنه إله، لذا فاللغة فيها من الإمكانات ما يطابق كل

[1] مجمع الأمثال للميداني، تدقيق: أحمد علي حسن، وطارق الأشهب، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ ، ٢٠١١م، ج٥٨/١.

المقامات، وعلى المتكلم أن ينتقي أفضل طريقة في صياغة كلامه ليصل إلى قلب المخاطب.

ومثله فى مجيء الاستفهام والمراد به الخبر المنفيّ قوله تعالى: {أَرُونِي ماذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ} ﴿٤٠﴾ سورة فاطر، أى لم يخلقوا شيئا، وبمعنى الخبر المنفيّ قوله: {أَفَمَنْ يُلْقى فِي النّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيامَةِ} ﴿٤٠﴾ سورة فصلت، أى ليسا سواء.ومنه: {أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذابِ يَوْمَ الْقِيامَةِ}﴿٢٤﴾ سورة الزمر خبر «من» محذوف، تقديره: كمن ينعم فى الجنة، والمعنى: ليس هذا هكذا. (الأمالي ج١/٤٠٥)

لعل الأشياء المسئول عنها في هذه الآيات أيضا تعد من البديهيات التي لا يجهلها عاقل، ولله المثل الأعلى، فالمقصود تعجيزهم عن الإجابة، فهم لم يخلقوا شيئا، كما أن من يلقى في النار ليس كمن يأتي آمنا يوم القيامة، فالعقل يقضي بعدم استوائهما، كذلك الآية الثالثة، ولعل استخدام هذه الاستراتيجية في عرض الأدلة وترك المجال للعقل ليعمل فيها أفضل من ذكر المقصود بالأسلوب المباشر.

ويكون خبرا بافتخار، كقوله تعالى حاكيا عن فرعون: {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ} ﴿٥١﴾ سورة الزخرف." (الأمالي ج١/٤٠٥)

فلو حملنا هذا على أنه يستفهم منهم لكان نقصا في حقه وذما، لكنه يقول ذلك مفتخرا كأن هذا شيء مقرر عندهم.

ومما جاء فيه الاستفهام بمعنى الخبر الموجب، قول جرير.

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

أى أنتم خير من ركب المطايا، فلذلك قال عبد الملك حين أنشده هذا البيت: نحن كذلك، ولو قال جرير هذا على جهة الاستخبار، لم يكن مدحا، وكيف يكون هذا استفهاما، وقد جعل الرواة لهذا البيت مكانا عليّا، حتى قال بعضهم:هو أمدح بيت. (الأمالي ج١/٤٠٥)

ما أدق ما ذكره ابن الشجري في تحليله للبيت تحليلا تداوليا من خلال الاستعمال، فهو يقول بأننا لا يمكن حمل هذا البيت على الاستخبار الذي اقتضاه شكله

الحرفي، لأن المعنى سينقلب إلى نقيضه، حيث إن شهادة الذوق العربي، ومراعاة اللياقة في الحديث، ومقام الخليفة، تدل على أنه خبر للمدح والفخر، بدليل أن الخليفة فهم هذا وقال" نحن كذلك.

هذا، وقد ذكر ابن الشجري موافقا لسيبويه [1] أن الاستفهام إذا سبق أو مُهِّد له بألفاظ نحو" سواء علي...أم، أو ما أدري...أم، ما أبالي...أم ، فإنه يخرج عن معناه الأصلي، ويدل على الإخبار، نظرا لوجود هذه الألفاظ، وسبق أن أشرت إلى هذا في حديثه عن صدارة أدوات الاستفهام أول المبحث، يقول ابن الشجري:" وقد جاء لفظ الاستفهام الصريح المستعمل بالهمزة وأم، خبرا فى قول القائل:

مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلٍ أَهَجَوْتَهَا ... أَمْ بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ

المعنى: ما ضرّها هجاؤك وبولك، وأكثر ما يجيء هذا بعد التسوية كقولك: سواء علىّ أقمت أم قعدت، أى سواء علىّ قيامك وقعودك، {وَسَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ} ﴿١٠﴾ سورة يس، أى سواء عليهم إنذارك إيّاهم وترك إنذارك، ومثله:{سَواءٌ عَلَيْنا أَجَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا}﴿٢١﴾ سورة إبراهيم، التقدير: جزعنا وصبرنا سواء. (الأمالي ج١/٤٠٦)

فالشاعر هنا لا يستفهم عن ذلك وإنما يقصد أن هجوكَ لها وبولك في هذا المكان سواءٌ، في أنَّهما لا يضرُّانها.فقد شبَّه الفرزدق هجاءَ جريرٍ تغلبَ وائلِ ببوله في مجمع البحرين، فكما أنَّ البول في مجمع البحرين لا يؤثر شيئًا، فكذلك هجاؤك هؤلاء القوم لا يؤثر شيئًا. [2]

ومثل مجيء الاستفهام بمعنى الخبر بعد التسوية، مجيئه فى قولك: ما أدرى أزيد فى الدار أم عمرو؟ ومنه قول زهير:

وما أدرى وسوفَ إخَالُ أدرى ... أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساءُ

---

[1] انظر الكتاب لسيبويه، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م: ج٣/١٨٦.

[2] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة،٢/٩٦.

فالمقصود هنا إظهار عدم اليقين، فقد أظهر أنه لا يعلم أنهم رجال أم نساء، وهذا أملح من أن يقول: هم نساء، وأقرب إلى التصديق، وأبلغ في التهكم والازدراء والتنقص، وبعبارة أخرى يدْرِي أَنهم رجال وَلكنه تعامى عَن هَذَا لِأَن فِيهِ ضربا من الهزء بهم. [1]

٤- استلزام الخبر لمعنى النفي:

وقد يأتي الكلام بصيغة الاستفهام ولكنه لا يحمل عليه لأن المقام يمنع من ذلك ، بل يكون معناه الخبر المنفي، ومن ذلك كما ذكر ابن الشجري:" قوله جلّ اسمه:{فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَناتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ}﴿١٤٩﴾ سورة الصافات، أى لا يكون هذا، وقوله حاكيا عنهم: {أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا} ﴿٨﴾ سورة ص، أى ما أنزل عليه الذّكر، ومثله: {أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ} ﴿١٩﴾ سورة الزخرف، أى لم يشهدوا ذلك، وكذلك قوله: {أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ}﴿٤٠﴾ سورة الزخرف، معناه: ليس ذلك إليك... ومنه قول النابغة:

ولست بمستبق أخا لا تلمّه ... على شعث أىّ الرّجال المهذّب

أى ليس أحد من الرجال مهذّبا بلا ذنب له. (الأمالي ج١/٤٠٨)

٥- استلزام الاستفهام لمعنى النهي:

يقول ابن الشجري:" يأتي الاستفهام والمقصود منه النهي: قول امرئ القيس:

قولا لدودان عبيد العصا ... ما غرّكم بالأسد الباسل

أي لا تغتروا وكونوا على حذر.(الأمالي ج١/٤٠٣)، فالشاعر لا يستفهم وإنما يقول لهم مهددا لا تغتروا وكونوا على حذر.

٦- استلزام الاستفهام لمعنى الوعيد:

قوله: {أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً} ﴿٥﴾ سورة الزخرف، معناه: أفنترككم ولا نذكّركم بعقابنا؟ (الأمالي ج١/٤٠٩)

---

[1] انظر: شرح ديوان المتنبي للعكبري، تحقيق، مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي: دار المعرفة – بيروت، ج٣/١٣١.

٧- استلزام الاستفهام لمعنى الحث:

قولـه:{مَـنْ ذَا الَّـذِي يُقْـرِضُ اللهَ قَرْضـاً حَـسَناً}﴿١١﴾ سـورة الحديـد. (الأمـالي ج١/٤٠٩)، **فالمراد بالاستفهام في هذه الآية الأمر، وقد جاء في صيغة الاستفهام؛ لأن في ذلك إغراء للمخاطب وحثًا له على الاستجابة وقبول الأمر.**

٨ـ استلزام الاستفهام لمعنى التهديد:

يقول ابن الشجري:" ويكون تهدّدا على جهة التنبيه، كقوله: {أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ} ﴿١٦﴾ سورة المرسلات إلى آخر القصة. (الأمالي ج١/٤٠٩)

ففي هذه الآية الله عز وجل يعلم أنه أهلك الأولين قبل هؤلاء، فهو لا يستفهم، كذلك المخاطب يعلم أنه أهلك السابقين لما عصوا رسله، وكأن الله يريد أن ينتزع الاعتراف بحصول المستَفْهَمِ عنه، لذا فالمعنى يخرج للتهديد، كقولك لمن يسيء الأدب أمامك: "ألم أؤدب فلانا؟ وهو يعلم ذلك، فكأنك تقول له بشكل غير مباشر: انتبه حتى لا يصيبك مني مثل ما أصابه.

٩. استلزام الاستفهام لمعنى التحذير:

ويكـون تحـذيرا كقولـه: {فَكَيْـفَ إِذا جَمَعْنـاهُمْ لِيَـوْمٍ لا رَيْـبَ فِيـهِ} ﴿٢٥﴾ سـورة آل عمران.(الأمالي ج١/٤٠٩)

فالمقصود من الاستفهام هنا تحذير المخاطب من هذا اليوم، كيف يكون حاله، وعاقبته.

١٠- استلزام الاستفهام لمعنى التعجب:

يقول ابن الشجري:" ويكون تعجّبا، كقول الشاعر: (الأمالي ج١/٤٠٩)

وكيف يسيغ المرء زادا وجاره ... خفيف المعى بادي الخصاصة والجهد

إن الشاعر لا يستفهم عن استساغة الزاد لأنها حاصلة وموجودة، لكنه يتعجب من كيفية وجودها عند من يتحدث عنه مع وجود الجار المعدم الذي لا يجد أقل القليل.

١١- استلزام الاستفهام لمعنى العرض:

كقولك: ألا تنزل عندنا؟ ألا تنال من طعامنا؟ والعرض بأن يكون طلبا أولى من أن يكون استفهاما، وإنما أدخله من أدخله فى حيّز الاستفهام، لأنّ لفظه لفظ الاستفهام، وليس كلّ ما كان بلفظ الاستفهام يكون استفهاما حقيقيّا، على ما بيّنته لك، ولو كان العرض استفهاما، ما كان المخاطبُ به مكرِما، ولا أوجب لقائله على المقول له شكرا. (الأمالي ج١/٤٠٩، ٤١٠)

إن ابن الشجري يرى أن الأولى حمل العرض على الطلب " الأمر " مستدلا بالمعنى التداولي للعرض، لأن من المعهود فيه تقديم الشكر عليه من قبل المخاطب، فأنا إذا قلت لإنسانٍ: ألا تأكل معنا ؟ فإنني لا أستفهم منه، فيرد على بنعم أو بلا، ولكني أطلب منه أن يشاركني الأكل فأنا بهذا أكرمه، لذا، يرد عليَّ قائلا : شكرا بارك الله فيك.

وبهذا يكون الاستفهام في النماذج السابقة كلها معنى نحويا أوليا، وسائر المعاني الأخرى من خبر وتنبه وتقرير وردع وتحذير وافتخار وتوبيخ، وتعجب، وعرض...إلخ معان نحوية ثانوية لكنها مقصودة مقاميا.

المحور الثالث

اختلاف جهات التخاطب في الأمر

انطلق ابن الشجري في معالجته للأمر باعتباره فعلا إنجازيا توجيهيا من وجهة تداولية تتجاوز دلالة الصيغة إلى ما هو أبعد منها من مراعاة علاقة الآمر بالمأمور، أو بعبارة أخرى " مراعاة لظروف الاستعمال ومقاماته" أو العلاقة بين المخاطبين، يقول:" حدّ الأمر: استدعاء الفعل بصيغة مخصوصة مع علوّ الرّتبة، وقد استحقّ هذا الاسم باجتماع هذه الثلاثة، فأما علوّ الرتبة، فإنّ أصحاب المعانى قالوا: الأمر لمن دونك، والطّلب والمسألة لمن فوقك، كقولك للخليفة: أجرنى، وسمّوا هذه الصيغة إذا وجّهت إلى الله تعالى: دعاء، لأنّ الدعاء الذى هو النداء يصحبها، كقولك: اللهمّ اغفر لى، ويا ربّ ارحمنى، وإذا كانت

لمن فوقك من الآدميين سمّوها سؤالا وطلبا، فهى بهذين الاسمين إذا وجّهت إلى الله سبحانه أولى. (الأمالي ج١/٤١٠)

وقال في موضع آخر:" فأما الخطاب بلفظة افعل، فلا يخلو أن يكون لمن دونك أو لنظيرك، أو لمن هو أعلى منك، فإن كان لمن دونك، سمّيته أمرا، وإن كان لنظيرك سمّيته مسألة، وإن كان لمن هو أعلى منك سمّيته طلبا، وإن كان لله سبحانه سمّيته سؤالا ودعاء وطلبا، وإنما اختلفت التسمية، لاختلاف المخاطبين بهذه اللفظة، لأنك تستقبح أن تقول: أمرت والدي، كما تستقبح أن تقول سألت غلامي."(الأمالي ج١/٤٢٤)

نلحظ أن ابن الشجري في النصيين السابقين لم يركز على شيء أكثر من تركيزه على عامل مهم من عوامل إنجاز الأمر وتحقيق المقصود منه، وهو السلطة، فإذا كان "سيرل" على حد قول د. ظافر الشهري اعتبر أن الفرق بين موقعي طرفي الخطاب مهم في تصنيف الأفعال، حتى لو تلفظ كل منهما بالخطاب ذاته، حيث يختلف الفعل المنجز تبعا لمكانة المرسل [١] فإن ابن الشجري الذي سبق سيرل بمئات السنين قدم تصورا نظريا وتطبيقيا على ذلك، ونص على أن الفعل الإنجازي المقصود من الأمر يقبح أو يفشل عند عدم مراعاة ذلك، لذا يقول" لأنك تستقبح أن تقول: أمرت والدي، كما تستقبح أن تقول سألت غلامي." (الأمالي ج١/٤٢٤)

فهذا الذي نص عليه ابن الشجري يشير به إلى دور السلطة في الإنجاز بالأفعال اللغوية، والتأثير في المرسل إليه، فقد يُخفِقُ المرسلُ لو أصدر أمرا أو نهيا دون امتلاك السلطة التي تمنحه القوة الكافية، وسوف يبوء فعله اللغوي بالفشل بل إنه قد يثير السخرية، مما يمنح المرسل إليه فرصة التهكم به.[٢]

---

[١] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار أويا للطباعة والنشر، طرابلس، ط١، ٢٠٠٤م، ص: ٢٣٣.

[٢] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٢٣٢.

وبهذا يؤكد ابن الشجري أن إنجاز الأمر في واقع الاستعمال لا يتعلق بالصيغة المخصوصة(الصيغة اللغوية) وحدها بل لابد من وجود السلطة أو الرتبة، فالمسألة إذن لغوية تداولية أو استعمالية.

صيغ الأمر:

يقول ابن الشجري:" وقد قدّمنا أن للأمر صيغتين، إحداهما للمواجه، وهى (افعل)، والأخرى للغائب، وهى (ليفعل)."(الأمالي ج١/٤١٠)، لكنه سبق أن بيَّن أن الأمر قد يأتي على هيئة الخبر، وأشرت إلى ذلك عند حديثي عن التركيب الخبري. وهذا يدل على أن الصيغة وحدها لا تكفي لبيان قصدية الأمر، بل لابد من معرفة للسياق الاستعمالي.

١- استلزام الأمر لمعنى الوجوب:

في البداية أود أن أشير إلى أن سيرل يرى أن المرسل يتواصل بالأفعال اللغوية غير المباشرة بأكثر مما يتكلم به في الواقع، وذلك من خلال الاتكاء على خلفيتهم المعرفية المشتركة، اللغوية وغير اللغوية، بالإضافة إلى توظيف المرسل إليه لقدراته العامة، العقلية والاستنتاجية"[1]

وعندما نأتي لنحلل شواهد ابن الشجري لتركيب الأمر، نجده لا يكتفي بالكفاءة اللغوية فحسب بل راعى ما نص عليه التداوليون ومنهم سيرل في صرف دلالة الأمر إلى الوجوب والندب والإرشاد والتحذير والدعاء والتضرع والخضوع...إلخ بحسب القرائن السياقية والمقامية.

يقول:" والأمر الواجب هو الذى يستحقّ بتركه الذّمّ، كقوله تعالى:{وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اِرْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ} ﴿٤٨﴾ سورة المرسلات، فذمّهم على ترك الركوع، بقوله: {فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}﴿٤٩﴾ سورة المرسلات. (الأمالي ج١/٤١٤)

[1] انظر استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية: ٣٩٢.

فمثال الأمر الواجب: {كُونُوا قَوّامِينَ لِلّهِ}﴿٨﴾ سورة المائدة... {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}﴿١٨٥﴾ سورة البقرة – {ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ}﴿٢٩﴾ سورة الحج .(الأمالي ج١/٤١٠)

إن الأفعال الكلامية " اركعوا، كونوا، فليصم، ليقضوا " تصنف في اللغة على أنها أمرية، لأن فاعلها مثاب وتاركها معاقب، فنظرا لطبيعة التوجيهات المتحدث عنها، فهي فرض وفقا لمعتقدات المسلمين، فقد حدَّد السياق طبيعة القوة الكلامية المتضمنة فيها، كما أن فيها طبيعة الاستعلاء أو الرتبة العليا للآمر.

٢– استلزام الأمر لمعنى الندب:

أما إن كان فعل الأمر يتناول توجيهات ليست من الفروض التي يعتقدها المتكلم والمخاطب، بمعنى أن من فعلها فله الثواب، ولا يلام من تركها، فهنا يخرج الأمر إلى معنى الندب، أو الاستحباب، يقول ابن الشجري:" وقد وردت هذه الصيغة والمراد بها النّدب والاستحباب، والنّدب: كلّ ما فى فعله ثواب، وليس فى تركه عقاب، كقوله:{اُذْكُرُوا اللّهَ ذِكْراً كَثِيراً}﴿٤١﴾ سورة الأحزاب، وقوله: {فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ}﴿١٩٨﴾ سورة البقرة، وكقول النبىّ عليه وآله السّلام: «من جاء منكم إلى الجمعة فليغتسل ». (الأمالي ج١/٤١٠، ٤١١)

٣– استلزام الأمر لمعنى الإباحة:

يقول ابن الشجري:" وقد جاءت هذه الصيغة والمراد بها إباحة الشيء بعد حظره، كقوله:{فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ}﴿١٠﴾ سورة الجمعة، بعد قوله:{إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ}﴿٩﴾ سورة الجمعة، وكذلك قوله:{وَإِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا}﴿٢﴾ سورة المائدة، بعد قوله[1]:{لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ}﴿٩٥﴾ سورة المائدة، ومنه: {فَإِذا وَجَبَتْ جُنُوبُها

[1] لعله يقصد بعد قوله"{... أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ}﴿١﴾ سورة المائدة؛ لأن قوله:{لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ} ورد بعده، أما =

فَكُلُوا مِنْهَا}﴿٣٦﴾ سورة الحج ... فكلّ هذا مما ليس فى فعله ثواب، ولا فى تركه عقاب."(الأمالي ج١/٤١١)

ففي هذه الآيات وجود القرينة صرفت معنى الأمر إلى الإباحة وهي انقضاء الصلاة في الآية الأولى، والتحلل من الإحرام في الثانية، وسقوط الذبيحة على الأرض بعد النحر في الثالثة، فترك الأكل أو الانتشار في الأرض بعد الصلاة أو عدم الأكل من الأضحية بعد الذبح لا يأثم فاعله، لذا فإن الأمر هنا وإن كان صادرا من الله " مرتبة عليا " إلى المسلمين "مرتبة سفلى" إلا أن هذه القرائن وفقا للخلفيات المعرفية للمسلمين تصرف دلالته لفعل غير مباشر وهو الإباحة.

أليس هذا الكلام مطابقا لما قاله التداوليون ومنهم سيرل عندما تحدث عن صيغة الفعل قائلا:" ومن أرجح معاني الأمر كونه يجعل من التلفظ بالصيغة دلالة على الوجوب أو الإباحة أو التهديد أو الحض، وهكذا عندما يقال:(أغلق الباب) فإنه يفهم من السياق معان متعددة :(أغلق الباب، أغلق الباب) يدل هذا التكرار على أني آمرك بالقيام بالفعل المأمور به، والإنشاء هنا دال على الوجوب، (أغلق الباب كما أفعل) هنا يكون الإنشاء مشابها لقولي: (أنصح لك أن تغلقه) والأمر هنا للإرشاد.و(أغلق الباب إن أحببت) الأمر هنا للإباحة...إلخ. [1] فوجود قرينة بعد الأمر صرفته إلى الإباحة.

٤- استلزام الأمر لمعنى الوعيد:

يقول ابن الشجري:" ويكون هذا اللفظ الأمرىّ بمعنى الوعيد كقوله تعالى:{اِعْمَلُوا ما شِئْتُمْ} ﴿٤٠﴾ سورة فصلت، {فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ}﴿٢٩﴾ سورة الكهف، {فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ} ﴿١٥﴾ سورة الزمر،{وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ

=
قوله:{لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ} فورد متأخرا في السورة في الآية " ٩٥"، أو لعله يقصد التأخر في النزول.

[1] نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام) أوستين، ترجمة عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، ط١٩٩١م، ص: ٩١.

بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ وَعِدْهُمْ}﴿٦٤﴾ سورة الإسراء."(الأمالي ج١/٤١١)

يخرج الأمر في كل هذه الشواهد إلى معنى غير حرفي " غير مباشر " هو الوعيد، هذا الوعيد دلت عليه طبيعة المتكلم، الذي يملك السلطة، كما تدل عليه نبرة الكلام وطريقة أدائه، كما يدل عليه السياق النصي والمقامي للكلام، ففي كل هذه السياقات قرائن لفظية وعقلية صرفت معنى الأمر إلى التهديد والوعيد، فالآية الأولى متلوة بقوله" إنه بما تعملون بصير" ، والثانية متلوة بقوله" إنا أعتدنا للظالمين نارا " والثالثة متلوة بقوله:" قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة " ...إلخ، كما أن العقل يقتضي ذلك، فلو أن سيدا قال لعبده" اعمل ما شئت فأنا أراك" فهو لا يخيره في ذلك بل يهدده.

٥- استلزام الأمر لمعنى التأديب والإرشاد:

يقول ابن الشجري:" وقد جاء اللفظ تأديبا وإرشادا إلى أصلح الأمور وأحزمها، كقوله: {وَأَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ} ﴿٢٨٢﴾ سورة البقرة، ثم لم يختلف أهل العلم فى أنّ ترك الإشهاد عند التبايع لا يكون مفسدا للبيع، وأنّ قوله: {فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ}﴿٢٨٢﴾ سورة البقرة، دليل على أنّ الأمر بالإشهاد عند التبايع إرشاد وتأديب، ومثله فى مجيء هذا اللفظ إرشادا على غير إلزام قوله: {فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ}﴿٣﴾ سورة النساء.(الأمالي ج١/٤١٢)

إن ابن الشجري يستدل بأكثر من قرينة وفقا لخلفيته المعرفية في الوصول للمعنى المقصود، منها الإجماع من قبل علماء أصول الفقه، ومنها السياق التالي للآية، والذي يصرفها لمعنى التأديب والإرشاد.

٦- استلزام الأمر لمعنى الخبر:

يقول ابن الشجري:" وكما جاء الخبر معناه الأمر فيما قدّمت ذكره، من نحو {وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ} كذلك جاء لفظ الأمر والمراد به الخبر، فى قوله تعالى:{قُلْ مَنْ كانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا} المعنى: فيمدّ له الرحمن مدّا."(الأمالي ج١/٤١٢)

نلحظ في هذه الآية الكريمة أن الله يقول لنبيه قل لهم يا محمد...إلخ، إذن القائل هو النبي فالأمر من الله لكنه على لسان النبي محمد وكأن الله يأمر نفسه بأن يمد لهم، وهذا مبالغة في تأكيد الإمهال لهم في الدنيا. يقول الزمخشري:" فأخرج على لفظ الأمر إيذانا بوجوب ذلك، وأنه مفعول لا محالة، كالمأمور به الممتثل، لتقطع معاذير الضال..."[1] ويقول ابن عطية" لام أمر دخلت في معنى الخبر ليكون أوكد وأقوى وهذا موجود في كلام العرب وفصاحتها." [2]

٧- استلزام الأمر لمعنى الخضوع:

ويكون أيضا لفظ الأمر للخضوع، كما كان دعاء فى نحو: اللهمّ اغفر لنا، وليرحم الله زيدا، وذلك نحو قول المذنب لسيّده، أو لذى سلطان عليه: افعل بى ما شئت، وابلغ منّى رضاك، تذلّلا منه وإقرارا بذنبه. "(الأمالي ج١/٤١٣)

إننا لا نستطيع بحال حمل الفعل " اغفر، وليرحم ، افعل بي ما شئت على دلالته الحرفية الظاهرة " الأمر" لأنه فقد شرط الرتبة أو الاستعلاء، وبحسب معايير سيرل "فإن المعيار المطبق في خروج الأمر إلى الدعاء والالتماس هو معيار الشروط المعدة ، وقد أوضحها سيرل بمثال الطلب من عسكري رتبة عميد إلى جندي بسيط بتنظيف الغرفة، ولن يكون هذا الطلب إلا أمرا، أما نفس الطلب من الجندي البسيط إلى العميد فهو قطعا لن يكون أمرا بل هو طلب أو اقتراح أو رجاء"[3]

لذا كان ابن الشجري دقيقا في تحليله حين قال في النص السابق،" نحو قول المذنب لسيده أو لذي سلطان عليه" فهو يعد إضافة أخرى لقوله الذي ذكرته في بداية الحديث عن الأمر" وإنما اختلفت التسمية، لاختلاف المخاطبين بهذه اللفظة، لأنك تستقبح أن تقول:

---

[1] تفسير الكشاف للزمخشري: ج٣/٣٧.

[2] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٤/٢٩.

[3] التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية للأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.ص: ١٠٧.

أمرت والدي، كما تستقبح أن تقول سألت غلامي."(الأمالي ج١/٤٢٤)

٨- استلزام الأمر لمعنى التعجيز أو التحدي:

ويكون لفظ الأمر أيضا لإظهار عجز الذى وجّه إليه ذلك اللفظ، ويسمّى هذا الضرب تحدّيا، كقوله جلّ وعلا: {أَمْ يَقُولُونَ اِفْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ}﴿١٣﴾ سورة هود ، فلما عجزوا عن ذلك قال: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ} وقال: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ}﴿٢٣﴾ سورة البقرة يدلّك على أن المعنى تبيين عجزهم عن ذلك قوله: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا} ﴿٢٤﴾ سورة البقرة، وقوله:{قُلْ لَئِنِ اِجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} ﴿٨٨﴾ سورة الإسراء.(الأمالي ج١/٤١٣)

إن ابن الشجري في هذا النمط من الأمر يدل على قاعدة مهمة في بيان المقصود من الأمر، وهي أنه على الرغم من صدور الأمر من رتبة عليا وممن يستحق منه وقوع الأمر فإن الشروط لم تتوفر من قبل المأمور، فالمأمور عاجز عن ذلك الفعل المطلوب منه، أو غير مأمور بأن يحدث فعلا، كذلك الآمر يعلم أن المأمور لا يستطيع فعل هذا، لذا يدل الأمر على فعل لغوي غير مباشر وهو التعجيز أو التحدي، كما نلحظ اعتماد ابن الشجري على السياق النصي ويستدل بما بعد هذا الموضع للوصول إلى القصد.

٩- استلزام الأمر لمعنى التنبيه على القدرة:

يقول ابن الشجري:" ويكون لفظ الأمر أيضا تنبيها على القدرة، والمخاطب غير مأمور بأن يحدث فعلا، فيكون بفعل ذلك الفعل مطيعا، وبتركه له عاصيا، كقوله تعالى: {قُلْ كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً}﴿٥٠﴾ سورة الإسراء، يعنى لو كنتم حجارة أو حديدا لأعدناكم، ألم تسمع إلى قوله حاكيا عنهم ومجيبا لهم: {فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}﴿٥١﴾ سورة الإسراء، فهذا يبيّن لك أنّ لفظ الأمر فى هذا الموضع تنبيه على قدرته سبحانه.(الأمالي ج١/٤١٣)

ونلمس في تصنيف ابن الشجري لهذا النوع من الأمر بقوله " تنبيها على القدرة، والمخاطب غير مأمور بأن يحدث فعلا " معنى الإهانة، والفرق بينهما وبين التسخير بأن التسخير

يكون حصول الفعل فيه من قبل الله تعالى كما ذكر ابن الشجري حين قال:" ولكنه فعل واقع به من الله عز وجل. "أما في الإهانة فإن الغرض قلة المبالاة بهم لا أن يكونوا حجارة، لذلك قال:" فهذا يبيّن لك أنّ لفظ الأمر فى هذا الموضع تنبيه على قدرته سبحانه"[1].

لذا نجد علماء اللغة المعاصرين قد تحدثوا عن أوجه الطلب حسب تحليل نظرية الفعل الكلامي، وقالوا إنها ترتبط بشروط معينة حتى يمكن نجاحها وهي:

ـ يجب على الطالب أن يكون له مطلب يمكن تحقيقه موضوعيا، أي أن يقدم طلبا يمكن أداؤه، ولا يكون مما لا يمكن أداؤه، مثل: أحضر لي القمر من السماء.

ـ يجب أن يكون الطالب على اقتناع بأن المطلوب منه الطلب يمكنه أن يلبي، فلا يمكن أن يطلب من طفل صغير: أحضر زكيبة الفحم من السرادب، حين تكون الزكيبة ثقيلة جدا....إلخ. [2]

وبناء على كل ما تقدم فإنني أقول آن الأوان لأن تكون لنا مشاريع بحثية تتبناها المؤسسات العلمية الأكاديمية لإعادة قراءة التراث العربي بكل فروعه، ولا تقف في مجال النحو عند سيبويه، ولا في مجال البلاغة عند السكاكي، ولا في مجال الأصول عند فلان أو غيره، فأنا لا أبالغ إن قلت إننا نمتلك تراثا عبقريا يستحق التعظيم، ويحتاج مزيدا من العناية.

المحور الرابع

في النهي

يبدأ ابن الشجري حديثه عن النهي بتعريفه، وبيان صيغه، وشروط تحققه فيقول:" النهى: هو المنع من الفعل بقول مخصوص، مع علوّ الرّتبة، وصيغته: لا تفعل ولا يفعل فلان." (الأمالي ج١/٤١٤)

---

[1] انظر: المطول على التلخيص :٤٢٦

[2] الأمر عند الأصوليين في ضوء التداولية، د.محمد مسعود علي، بحث منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، عدد ٧٠، سنة ٢٠١٣م، ص:٢٢.

إن ابن الشجري في النص السابق يؤكد ما سبق أن أكده في حديثه عن الأمر وهو أن تسمية النهي نهيا تكون بناء على مراعاة جهات التخاطب، فهو مع علو الرتبة يسمى نهيا، لكن عند انعدامها كأن يكون من أسفل إلى أعلى أو بين المتساويين فإن تسميته تختلف بحسب المقام.

الاسترسال الدلالي بين الأمر والنهي:

يقول ابن الشجري:" والنهى بلفظة: لا تفعل، هو عند قوم بمعنى الأمر، قالوا: لأنك إذا قلت: نهيته عن كذا، فقد أمرته بغيره، فإذا قلت: لا ترحل، فكأنك قلت: أقم، وإذا قلت: لا تصم، فكأنك قلت: أفطر، وكذلك إذا أمرته بشيء، فكأنك نهيته عن نقيضه، فإذا قلت: ارحل، فكأنك قلت: لا تقم، وإذا قلت: صم، فكأنك قلت: لا تفطر، وهما عند آخرين معنيان، كلّ واحد منهما قائم بنفسه، وإن اشتركا فى بعض المواضع." (الأمالي ج١/٤٢٤)

يبدو من استعراض ابن الشجري للرأيين السابقين أنه موافق لهما، فلم يعترض عليهما بقوله:" وليس قول هؤلاء بشيء" كما فعل ذلك في النداء وإدخاله عند قوم في باب الأمر[١]، فهو يعرض للاسترسال الدلالي بين الأمر والنهي والذي يعود في رأي د. خالد ميلاد إلى تعجيم البنية التصريفية للأمر بما يفيد النهي، نحو قولك: اترك ذاك " فالبنية التصريفية تدل على الأمر، والمادة المعجمية تدل على النهي، لكن ذلك لا يكون إلا عن طريق الاقتضاء. [٢]

كذلك يظهر من هذين الرأيين أن" المرسل يستطيع أن ينجز أكثر من فعل من الأفعال اللغوية في آن واحد، إذا عتمد على الثنائيات التي تنتمي إلى صنف واحد، كما في إنجاز فعل الأمر وفعل النهي في آن واحد من خلال التلفظ بأحدهما"[٣]، ولكن كل ذلك

---

[١] انظرالبحث ص٤٣.
[٢] انظر الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة:ص ١٣٩.
[٣] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٣٨٩.

مرهون بسياق الموقف وظروفه المختلفة وليس على إطلاقه ولعل هذا مفاد الرأي الآخر من الرأيين السابقين.

ولقد انطلق ابن الشجري بعد كلامه السابق يستعرض المعاني التي يخرج إليها النهي، فيذكر أنه يأتي مستلزما معنى التحريم، والتنزيه.

١- استلزام النهي لمعنى التحريم:

يقول ابن الشجري:" فمن النهي للمواجه والغائب والمقصود منهما التحريم: {وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاّ بِالْحَقِّ}﴿١٥١﴾ سورة الأنعام - {وَلا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ}﴿٨٨﴾ سورة القصص، ومنه قوله عليه السلام: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا » ومن النهي للغائب:{لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ}﴿٢٨﴾ سورة آل عمران - {وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً}﴿١٢﴾ سورة الحجرات. فهذا كلّه يراد به التحريم.(الأمالي ج١/٤١٤)

٢- استلزام النهي لمعنى التنزيه:

يقول ابن الشجري:" وقد ترد هذه الصيغة والمراد بها التنزيه، كقوله تعالى:{وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ} أى لا تتركوه، وليس ذلك بحتم، وكقول النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاثا » ولا تحمل هذه الصيغة على التنزيه إلاّ بدليل.(الأمالي ج١/٤١٤، ٤١٥)

عندما نقارن بين النهي للمواجه والغائب المقصود به التحريم، وبين النهي بنوعيه السابقين أيضا المقصود به التنزيه، نلحظ أن الذي يصرفه لهذا المقصود هو طبيعة المضمون القضوي المتحدَّث عنه، والخلفية المعرفية والعقدية لها دور في بيان هذا المحتوى القضوي، فمثلا النهي عن قتل النفس بغير الحق لا يمكن أن يكون على سبيل التنزيه مثلا، وكذلك النهي عن الشرك بالله. في حين أن النهي عن عدم نسيان المعروف بين الزوجين ليس حتما فقد يكون حدث من المشاكل بينهما ما يكون كفيلا بنسيان المعروف دون إثم، فيكون النهي تنزيها عن ذلك.

٣- استلزام الخبر لمعنى النهي:

ذكر ابن الشجري أن النهي ليس مقتصرا على البنيتين المجردتين التي سبق أن ذكرهما(لا تفعل، لا يفعل) وإنما تأتي الصيغة المعجمية حاملة أو مستلزمة معنى النهي، كما يستلزم المقام معنى النهي من الوعيد الذي جاء عليه التركيب الخبري، كما قد يأتي النهي في صورة النفي.

أ- بلفظ التحريم:

يقول:" وقد ورد النهى بغير هذه الصّيغة، وذلك نحو قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ} و{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ}.(الأمالي ج١/٤١٥)

فالمعنى المستلزم من هاتين الآيتين هو: لا تتزوجوا أمهاتكم، لا تأكلوا الميتة، وإن كان لفظهما جاء على طريقة الإخبار، لكنه جاء بصيغة أقوى من النهي المباشر، وفي هذا دليل على أن" النهي طبقات بناء على السياق التداولي وذلك بمعرفة خصائص المرسل إليه من الضعف والقوة، وكذلك أهمية الأمر المنهي عنه." [1]

ب - بلفظ الوعيد:

يقول ابن الشجري:" وقد جاء النهى بلفظ الوعيد، كقوله جلّ اسمه:{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً}﴿١٠﴾ سورة النساء، وكقوله عليه السلام: «من شرب فى آنية الفضّة فإنما يجرجر فى جوفه نار جهنّم».(الأمالي ج١/٤١٥)

فابن الشجري يريد أن يقول إن الفعل الإنجازي الذي يقصد من الوعيد السابق هو النهي عن أكل أموال اليتامى، والنهي عن الشرب في آنية الفضة في الدنيا، لكن السؤال لماذا لم يقل الله عزوجل" لا تأكلوا أموال اليتامى ظلما، ولا تشربوا في آنية الفضة في الدنيا؟ واستخدم بدلا من ذلك التعريض بذكر الوعيد؛ لأن ذلك أدعى للترك وعدم ارتكاب هذا الجرم بمعرفة عاقبته الوخيمة، أو بمعنى آخر وفقا لحال الإنسان الذي لا يحب أن

---

[1] استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية: ص٣٥١.

يكون الطلب بشكل جازم" لا تفعل " وإنما يكون بالتلويح أو المعنى غير المباشر، وهذا أدعى للإجابة والانتهاء عن أكل أموال اليتامى ظلما، والشرب في آنية الفضة.

ج- بلفظ النفي:

يقول ابن الشجري:" وممّا جاء من النّهي بلفظ النّفى قوله جلّ وعزّ:{ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ}﴿١١٣﴾ سورة التوبة، أراد: لا تستغفروا لهم، ومنه:{ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ}﴿٢﴾ سورة البقرة، أى لا ترتابوا فيه، أى لا تشكّوا فيه، ومثله:{لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ}﴿٦٤﴾ سورة يونس، أى لا تبدّل أيّها الإنسان كلمات الله، ومنه:{لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ}﴿٢٥٦﴾ سورة البقرة ، أى لا تكرهوا فى الدّين، وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال، ومنه: {فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدالَ فِي الْحَجِّ}﴿١٩٧﴾ سورة البقرة، أى لا ترفثوا فى الحجّ ولا تفسقوا ولا تجادلوا، ومعنى لا رفث ولا فسوق: أى لا جماع ولا كلمة من أسباب الجماع، ومعنى: ولا جدال فى الحجّ: أى لا يسوغ للرجل أن يجادل أخاه فى الحجّ، فيخرجه جداله إلى ما لا ينبغى. (الأمالي ج١/٤١٥، ٤١٦)

نلحظ مما جاء من النّهي بلفظ النّفي، وما جاء بلفظ الخبر، خطاب فيه تلطف لأنه موجه للنبي والمؤمنين، واستخدام التلويح أو التعريض فيه صون لمشاعرهم، وذلك ربما يرجع إلى مبدأ التأدب والتلطف في الكلام، فالكلام الموجه للنفس مباشرة فيه شدة، لكن ربما تصل الرسالة عن طريق التلويح أفضل من التصريح.

والذي يهمنا أن ابن الشجري وهو نحوي قديم استطاع وفقا لخلفيته المعرفية، ولمراعاته للمقام أن يدرك القوة الإنجازية المتضمنة في الكلام، وفي هذا دليل على أن النحاة العرب عرفوا التداولية قبل التداوليين أنفسهم. كما أنهم استطاعوا فهم الاستعمال اللغوي حتى وإن خرج عن الصورة الأصلية التي يقتضيها الكلام.

كما يتبين أن اللغة العربية لغة مبدعة بما تمنحه لمتكلميها من خيارات أو استراتيجيات لغوية وتركيبية وفقا لأبعاد كثيرة منها المتكلم، والمخاطب، والسياق، والمقام بظروفه وملابساته...إلخ. ولعل هذا ما جعل ابن الشجري يقول:" وإذا تأمّلت ما ذكرته لك، من

استعمال معنى بلفظ معنى آخر، فى الكتاب العزيز، وفى الشّعر القديم، وفى الكلام الفصيح، وقفت من ذلك على أمر عجيب..." (الأمالي ج١/٣٨٨)

المحور الرابع

في النداء

النداء بين أصحاب المعاني وابن الشجري:

يقول ابن الشجري:" عامّة الناظرين فى المعانى يزعمون أنّ لفظ النداء لمعنى واحد،لا يتجاوزه إلى غيره، قالوا: لأنّ قولك: يا زيد، ويا عبد الله، صوت يدلّ المدعوّ على أنك تريد منه أن يقبل عليك، لتخاطبه بما تريد أن تخاطبه به، وليس النداء إخبارا ولا استخبارا، ولا أمرا ولا نهيا، ولا تمنّيا ولا عرضا، وإنما تلقى إلى المدعوّ من هذه المعانى ما شئت بعد دعائك إيّاه...".(الأمالي ج١/٤١٧)

نلحظ في النص السابق أن ابن الشجري ينطلق من رفض ما قاله أصحاب المعاني من اقتصار النداء على مجرد التنبيه للمدعو، كما رفض قولهم بأن النداء ليس إخبارا ولا استخبارا ولا تمنيا ولا أمرا ولا نهيا ليرسي المبدأ التداولي الذي يتكأ فيه على المقام والقصد من النداء، كما يتكأ فيه على أطراف العملية التواصلية المتمثلة في المتكلم والمخاطب والخطاب والظروف المحيطة بها فيقرر أن للنداء وجوها بحسب كل ذلك.كما أنه يقدم ربطا بين صيغة النداء وما أريد من المنادى.

المعاني المستلزمة من النداء:

١- التعظيم والخضوع والتضرع:

يقول ابن الشجري:" وقد وجدت للنّداء وجوها، أكثرها لا تخرجه عن كونه نداء، فمن ذلك أنّ نداءك لله سبحانه فى قولك: يا الله يا رحمن يا رحيم، إلى غير ذلك من أسمائه الحسنى وصفاته العلى، يكون خضوعا وتضرّعا وتعظيما. (الأمالي ج١/٤١٧، ٤١٨)

نلحظ هنا أننا إذا طبقنا قاعدة النداء التي ذكرها العلماء وهي" طلب إقبال المخاطب لتنبيهه " فإن ذلك في حق الله تعالى لا يكون؛ لأن الله عزوجل قريب من عبادة

في كل وقت وحين ولا يحتاج لهذا التنبيه ولذا يخرج النداء كما ذكر ابن الشجري إلى معنى الخضوع والتضرع والتعظيم، وبهذا يصبح النداء فعلا لغويا غير مباشر، قوته الإنجازية التداولية تعظيم الله وتوقيره.

٢- المدح أو الذم (مع الحاضر أو الحي)

عندما يقتصر المتكلم بالنداء على ألفاظ المدح أو الذم دون ذكره للمنادى، فهنا لا يمكن حمل النداء على التنبيه ودعوة المنادى للإقبال وإنما تتولد من هذا التصرف أغراض تداولية أخرى بحسب المقام.

يقول ابن الشجري:" وقد يقتصر على ألفاظ المدح للمدعوّ، إذا كان قصدُك تعظيمه، ومرادُك مدحه، كقولك: يا سيّدَ الناس، ويا خيرَ مطلوب إليه، ويا فارس الهيجاء، تريد: أنت سيّد الناس، وأنت خير مطلوب إليه، وأنت فارس الهيجاء، فيكون نداؤه بذلك داخلا فى الخبر، كما يكون نداؤك لله جلّت عظمته، إقرارا منك بالرّبوبيّة وتعبّدا، وبحسب ذلك يكون النداء ذمّا للمنادى وتقصيرا به، وزريا عليه، كقولك: يا فسق ويا خبث، ويا أبخل الناس، ويا مستحلّ الحرام، وما أشبه هذا، ممّا تقتصر عليه ولا تذكر معه شيئا غيره، كما اقتصرت على نداء الممدوح بما ناديته، فالنّداء فى هذا الوجه داخل فى حيّز الخبر.(الأمالي ج١/٤١٨)

إن ابن الشجري في النص السابق يريد أن يرد على الذين جعلوا النداء من باب الأمر، لأن معنى النداء عندهم بـ " يا زيد " أي تنبَّه " لكنه يرى خلاف ذلك بحسب المقام، لذا يقول:" وقد أدخل قوم النّداء فى باب الأمر، فقالوا: إذا قلت: يا رجل، فكأنك قلت: تنبّه، وليس هذا القول بشيء، لأنك إذا قلت: يا زيد، لم تقل: قد أمرته، وقال بعضهم: النداء خبر من وجه، وغير خبر من وجه، فإذا قلت: يا فسق، فهذا خبر، لدخول التصديق والتكذيب فيه، فلذلك أوجب الفقهاء الحدّ على القاذف بهذا اللفظ، فإذا قلت: يا زيد، فليس بخبر، لامتناع التصديق والتكذيب فيه."(الأمالي ج١/٣٨٩، ٤٢٤)

وكأني به يريد القول: ما الفرق بين قولنا يا زيد، وقولنا يا فُسَقُ، فالأول أنت لم تخبر بشيء زائد عن معنى التنبيه، أما الثاني فهو يحمل فعلا لغويا هو قذفك للمنادى

واتهامك له بالفسق. فهذا يدخل في الخبر، لذا أوجب الفقهاء حد القذف فيه، وكما يقول د. الشاوش:" فهاتان العبارتان وإن اتفقتا من حيث الصيغة فإنهما مختلفتان فيما اعتمدت عليه الصيغة، وهذا الاختلاف هو الذي يحدث الفرق بين القولين، أو قل إن الفرق ناتج عن الانتقال من زيد إلى فسق وهي عملية تجري في مستوى نقدر أنه سابق على النداء ومتقدم عليه، فبدل أن يستعمل المتكلم الاسم العلم الخاص بالمسمى والدال على ذات المخاطب عدل وعمد إلى اسم آخر يطلق على ذات أخرى لما بينهما من الشبه.[1]

٣- استلزام النداء لمعنى الاختصاص:

وقد ورد النّداء مرادا به الخبر فى شيء من كلامهم، وذلك فى قولهم: «اللهمّ اغفر لنا أيّتها العصابة» قال أبو العباس محمد بن يزيد: معناه أخصّ هذه العصابة. (الأمالي ج١/٤١٨)

نلحظ هنا أن إطلاق معنى التنبيه على هذه العبارة لا يكون لأنك لا تدعو العصابة ولكن كما ذكر المبرد ووافقه ابن الشجري أنت اختصصتها من غيرها، كما تختص المدعو فجرى عليها اسم النداء لمساواتها إياه في الاختصاص.[2]

٤- معنى التوكيد:

وقد يكون دعاؤك لمن هو مقبل عليك، ومستغن عن دعائك له، على جهة التوكيد، حتى إن الداعي قد ينادى نفسه وقلبه، كقول القائل:

فيا نفس صبرا لست والله فاعلمى ... بأوّل نفس غاب عنها حبيبها

وكقول الآخر: (الأمالي ج١/٤١٨)

فلو يا قلب كنت اليوم حرّا ... زجرت النّفس ويحك عن هواها

---

[1] أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية"تأسيس نحو النص" د.محمد الشاوش،المؤسسة العربية للتوزيع، تونس،ط١، ٢٠٠١م.ج٦٩٨/٢.

[2] انظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: ج٦٩٥/٢. وانظر: المقتضب:ج ٢٩٨/٣، ٢٩٩.

ففي هذين البيتين نلحظ أن قرب نفس الإنسان وقلبه منه بما لا يستوجب معه وجود حرف النداء " يا " إلا أن الشاعر أراد أن يخرج بالنداء إلى معنى التوكيد لا لمجرد التنبيه والدعوة للإقبال والحضور، فلعله يعلم من نفسه قلة الصبر فهي بعيدة عنه، كما أن قلبه رغم أنه يسكن بين جنباته إلا أنه عبد للهوى فكأنه بعيد لذا استخدم أداة النداء لهذا الغرض.

٥- معنى التشوق أو المدح أو الذم أو التفجع (مع الغائب)

وقد يوجّه النداء إلى من لم يقصد إسماعه، وذلك إلى غائب تكتب إليه، تتشوّقه أو تمدحه أو تذمّه، كقولك في مكتوبك: يا زيد، جمع الله بيني وبينك، ويا محمد، ما أكرمك، ويا خالد ما ألأمك، أو تقول لميّت تندبه: يا زيد، ما أجلّ مصيبتنا بفقدك، ويا عبد الله، لقد هدّنا هلكك، غير أنّ أكثر العرب يخالفون بين اللّفظ بالنّدبة، واللفظ بالنّداء، فيجعلون «وا» مكان «يا» ويلحقون آخر الاسم ألفا، فإذا سكتوا ألحقوها هاء ساكنة، كقولك: وا سيّد المسلميناه، وا أمير المؤمنيناه، فاقتصارك على قولك: يا سيّد الناس، ويا فارس الهيجاء، كاقتصارهم على مدح المندوب.(الأمالي ج١/٤١٩)

أيضا في كل هذه الأنماط لا يمكن حمل معنى النداء على التنبيه والدعوة للإقبال على المنادِي، لأن المنادَى غير موجود أصلا فلا يسمع النداء لذا قال ابن الشجري " وقد يوجّه النداء إلى من لم يقصد إسماعه " ثم ذكر المقاصد التداولية لهذا النوع من النداء من مدح وذم وتشوق...إلخ. ثم ذكر فرقا بين مقام النداء للحي لكنه بعيد، ونداء المندوب المتفجع عليه باستبدال " وا" بـ" يا "، وزيادة الألف مع هاء السكت عند الوقف لإظهار شدة التفجع عليه.

وعلى هذا " فقد عوملت أساليب الندبة والاستغاثة والتعجب والتخصيص باعتبارها فروعا عن النداء، فالموجه إليها أمر مقامي تداولي تحدده حال المتوجه إليه بصيغة النداء(

كون المتوجه إليه حيا أو غير حي، مقبلا عليك أو غير مقبل) فتوجه هذه الأحوال الصيغة إلى قصد معين تنبيها أو تفجعا وندبة أو تعجبا..." [1]

٦- استلزام النداء لمعنى التحذير:

وقد جاء النداء تحذيرا، كقوله تعالى:{يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}﴿٣٠﴾ سورة يس (الأمالي ج١/٤٢٠)

ففي هذه الآية الكريمة نجد ابن الشجري ينفذ من نداء الحسرة التي لا تفيد إلا التنبيه، إلى المقصود الحقيقي من ندائها والمتمثل فيما بعدها وهو التحذير، ولذا يقول صاحب التحرير والتنوير:" وَحَرْفُ النِّدَاءِ هُنَا لِمُجَرَّدِ التَّنْبِيهِ عَلَى خَطَرِ مَا بَعْدَهُ لِيُصْغِيَ إِلَيْهِ السَّامِعُ..." [2]

٧- استلزام النداء لمعنى الاستغاثة:

وجاء استغاثة، كقول عمر رضى الله عنه، لمّا طعنه العلج: «يا لله وللمسلمين» (الأمالي ج١/٤٢٠)

فطبيعة المقام وهو" تعرض الإنسان لأمر شديد لا يستطيع دفعه، أو التغلب عليه، فينادي من يستطيع إنقاذه مما هو فيه." بالإضافة إلى الصيغة التي جاء عليها الكلام هنا(أداة نداء + مستغاث به معه لام مفتوحة + مستغاث له معه لام مكسورة) كل هذا يحدد الفعل الإنجازي الذي يدل عليه وهو الاستغاثة.

٨- استلزام النداء لمعنى الدعاء:

وجاء النداء دعاء، يقول ابن الشجري ناقلا رأيا نسبه للمبرد:" وقال أبو العباس المبرد: من قال: يا بؤسا لزيد، جعل النّداء بمعنى الدعاء على المذكور، وكذلك قول سعد بن مالك بن ضبيعة:

يا بؤس للحرب الّتى ... وضعت أراهط فاستراحوا

---

[1] أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: ج٢/٦٩١.
[2] التحرير والتنوير: ج٢٣/ ٨.

كأنه دعاء على الحرب، وأراد: يا بؤس الحرب، فزاد اللام. (الأمالي ج١/٤٢١)

هذا، ولقد تكلم النحاة عن البيت فيما يتعلق بالاستشهاد به على زيادة اللام، لكنهم لم يذكروا أنه بمعنى الدعاء كما ذكر ابن الشجري، وإنما قالوا معناه على التعجب، يقول ابن هشام:" (يا بؤس للحرب) نداء في معنى التعجب، أي: ما أبأسها وأشدها. [١]، فالشاعر " دعا بؤس الحرب التي حطت أراهط فأذلتهم حتى استسلموا للأعداء وحالفوا الراحة وآثروا السلامة. وهذا الكلام فيه مع القصد إلى التعجب تهكم وتعيير كأنه أراد: ما أبأس الحرب التي فعلت ذلك." [٢]

ويبدو لي أن فهم معنى الدعاء من البيت هو رأي ابن الشجري، والبيت يحتمله لكن على ضعف؛ لأن قرينة التعجب أو السخرية أوضح من خلال المقام الذي قيل فيه البيت، وبهذا يكون فيه أكثر من قصد وفقا للمؤول للمعنى، وبهذا فالفعل اللغوي غير المباشر الذي يقصد من البيت يمكن أن يكون التعجب أو التهكم، أو الدعاء.

٩- معنى التوجع والتأسف:

وقد استعملوا النداء توجّعا وتأسّفا كقوله:(الأمالي ج١/٤٢١)

وبعد غد يا لهف نفسى من غد ... إذا راح أصحابى ولست برائح

فالشاعر هنا لا يقصد النداء ولكنه يتوجع ويتأسف على ما يأتيه بعد موت أصحابه وذهابهم مع بقائه وحيدا، ولعل هذا المعنى دلت عليه صيغة الخطاب من خلال قوله" يا لهف نفسي، وهذا ما ذكره ابن الشجري في موضع آخر" «يا لهف نفسى» لفظه لفظ النداء، ومعناه التوجّع، فإذا حملته على هذا، فالتقدير: أتأسّف وأتوجّع وقت رواح أصحابى وتخلّفى عنهم.(الأمالي ج٢/٢٨)

---

[١] تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد لابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. عباس مصطفى الصالحي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ص: ٢٩٦.

[٢] شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية: محمد بن محمد حسن شُرَّاب، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان،ط١، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧ م، ج١/٢٦٠.

١٠- معنى التعجب:

يقول ابن الشجري:" وقد ورد النداء تعجّبا،ومنه قول الحطيئة :

طافت أمامة بالرّكبان آونة ... يا حسنه من قوام ما ومنتقبا

أراد: ما أحسنه من قوام...." (الأمالي ج١/٤٢٢)

نداء ما لا يعقل ودلالته التداولية:

١- نداء الديار والأطلال:

قدم ابن الشجري صورا عديدة لنداء غير العاقل، ولا يقصد من ذلك تنبيها كما هو الأصل في النداء، لكنه جاء مستلزما معاني الحسرة والتألم. يقول:"وممّا نادوه مما ليس إسماعه متوهّما، الدّيار والأطلال، كقول النابغة:

يا دار ميّة بالعلياء فالسّند ... أقوت وطال عليها سالف الأبد

وكقول امرئ القيس : (الأمالي ج١/٤١٩)

ألا عم صباحا أيّها الطّلل البالى ... وهل ينعمن من كان فى العصر الخالي

ففي هذين البيتين لا نستطيع بحال من الأحوال أن نحمل النداء على المعنى الأصلي" التنبيه والإقبال على المخاطب" لأن المنادى هنا لا يعقل ولا يسمع، فهناك اعتراف وإقرار من الشاعر بأن الطلل لا يفهم ولا يدرك، لكنه كما يقول د. موسى ربابعة " خرج عن هذه الرؤية وبث في الديار حياة عارمة ؛لأنهم يرفضون التهدم والخراب والقفر والجدب، وبهذا يتحول نداء الديار إلى صرخات من الألم والتحرق والحسرة"[١]

وهذا بلا شك يعكس حالة نفسية يعيشها الشاعر دون أن يكون هناك مخصوص بالنداء ينتظر منه أن ينتبه لما يقول، فطبيعة المقام أو الاستعمال بظروفه هي التي توجه النداء لهذا الغرض، وقد أدرك النحوي ابن الشجري هذا المعنى فقال كلامه السابق ذكره.

---

[١] تشكيل الخطاب الشعري دراسات في الشعر الجاهلي د. موسى ربابعة، دار جرير للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م ، ص:١٤.

٢– نداء الأوقات:

يقول ابن الشجري:"وقد ينادون الأوقات، بمعنى الاشتكاء لطولها، أو المدح لها بما نالوا من السّرور فيها، فمن الاشتكاء لطول الليل قول امرئ القيس: (الأمالي ج١/٤١٩)

ألا أيّها اللّيل الطويل ألا انجل ... بصبح وما الإصباح فيك بأمثل

نلحظ في هذا البيت شيئين أولهما:الأمر في قوله:"ألا انجل" لا يمكن حمله بحال على الأمر لأن الشاعر لا يملك ذلك، ولذا ينصرف إلى معنى مقامي غير مباشر وهو التمني.

والأمر الثاني أنه خاطب ما لا يعقل ولا يتحقق تنبيهه أو إقباله عليه، ومن هنا فهو أراد أن يقول:" أنا معذب في الليل والنهار على سواء، فليس الصبح بأفضل من الليل عندي لأني أقاسي الهموم نهارًا كما أعانيها ليلًا، أو لأن نهاري أظلم في عيني لازدحام الهموم عليَّ ، فالشاعر لَمَّا تضجَّر بتطاول ليله خاطبه وسأله الانكشاف، وخِطابه ما لا يعقل يدل على فرط الوله وشدة التحيّر، وإنما يستحسن هذا الضرب في النسيب والمراثي وما يوجب حزنًا وكآبة ووجدًا وصبابة. [1] **ولذا يحمل النداء معنى الشكوى من طوله لشدة ما عاناه فيه.**

وعلى العكس من ذلك فقد ينادي الليل مادحا لما فيه من السرور، يقول ابن الشجري:" ومن وصف الليل بالقصر، لما نال واصفه فيه من السرور، وأحسن ما شاء، قول الشريف أبى الحسن الرّضيّ، رضى الله عنه وأرضاه، وإن كان متأخّرا، فإنّما نسج المتأخّرون على منوال المتقدّمين:

يا ليلة كاد من تقاصرها ... يعثر فيها العشاء بالسّحر

ومن ذلك نداء أمير المؤمنين عليّ عليه السلام للدّنيا وخطابه لها، فيما ذكره لمعاوية ضرار بن ضمرة النّهشليّ، وقد سأله عنه فقال فيما وصفه به: أشهد لقد رأيته وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، ماثلا فى محرابه، قابضا على لحيته، يتململ تململ

---

[1] شرح المعلقات السبع: حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، دار احياء التراث العربي، ط١ ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م، ص٦٠.

السّليم، ويبكى بكاء الحزين، ويقول: «يا دنيا ألى تعرّضت، لا حان حينك، قد بتتّك ثلاثا لا رجعة لى فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك يسير».(الأمالي ج١/٤٢٠)

فالجامع بين الأبيات الشعرية السابقة أن الشاعر لجأ إلي استعمال اللغة أو الخطاب المجازي، هذا الخطاب يمثل فعلا لغويا غير مباشر، واستطاع الشاعر كسر النمط اللغوي المعروف وخرج بالعبارة مخرجا جديدا تجاوز به العادي والمألوف وذلك لأبعاد تداولية تتلخص في إظهار الألم أو السرور الذي يسيطر عليه.

ثم يختم ابن الشجري هذا الباب بقوله:" فهذه وجوه شتّى قد احتملها النّداء، وإن كان فى أصل وضعه لتنبيه المدعوّ، والذى حملنى على تلخيصها، ما ذكرته لك من إنكار كثير منهم أن يكون لفظ النداء محتملا لمعنى غيره، وقد أريتك أن أكثر معانى الكلام ليس لفظ من ألفاظها إلا وهو محتمل لمعان مباينة للمعنى الذى وضع له ذلك اللفظ فلا يكون فى احتماله لتلك المعانى ما يخرجه عن معناه الأصليّ.(الأمالي ج١/٤٢٣)

وبهذا الذي ذكره ابن الشجري يصبح من الخطل اعتقاد التطابق بين نظام المعاني ونظام المباني أو تقييد المباني مبنى مبنى بالدلالة على معنى معنى فإننا نفترض أن للأبنية في مستوى ما من التجريد معنى إنشائيا بالوضع يتميز بخصائص تخاطبية مجردة ومرشحا لأداء عمل لغوي ما يوافق معناه الإنشائي الوصفي أو يفارقه بقرينة أو علاقة من العلاقات التي تيسّر الانتقال من الوضع إلى غير ما يدل عليه الوضع، وسواء أسمينا هذا المعنى المقامي عملا قوليا مباشرا أو عملا تخاطبيا على الحقيقة أو معنى أول، وسواء أسمينا المعنى المقامي الطارئ عملا قوليا أو عملا لغويا غير مباشر أو مجازا أو معنى ثانيا، فلابد من اعتبار خصائص البنية النحوية وخصائص العلاقة " القرينة ". [1]

ثم يختم ابن الشجري حديثه عن استعمال التراكيب في غير معناها الظاهر بقياسه لها على المفردات ، يقول :" وأقول: إنه كما جاز فى الألفاظ المفردة ما يتّفق لفظه ويختلف معناه، كذلك جاز أن يكون فى الألفاظ المركّبة المفيدة ما يختلف معناه واللفظ

[1] إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية: ص:١٥٧.

واحد، كقولهم فى المفرد: العين، لعين الإنسان وكلّ ذى بصر، والعين: الرجل المتجسّس، والعين: سحابة تأتى من ناحية القبلة...". (الأمالي ج١/٤٢٣)

وبعد كل هذه الشواهد التي ذكرها العلامة ابن الشجري تبقى ظروف الاستعمال هي التي توجه القصد في كل نوع من هذه الأنواع، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على براعة النحاة العرب في مراعاة المقام ومقتضى الحال، فإذا كان الفعل اللغوي المباشر الذي يؤديه النداء هو تنبيه المنادى ودعوته للإقبال عليه، فإن وراء هذا التركيب عملا لغويا غير مباشر يفرضه المقام وظروف الاستعمال، وبهذا يكون الاستعمال هو جماع علاقات التخاطب والأحوال المقامية.

الخاتمة وأهم النتائج:

توصل البحث من خلال دراسته لمعاني الكلام غير المباشرة والتي عرفت بالاستلزام الحواري في التداولية الحديثة إلى أنه إذا كانت اللسانيات التداولية أعادت دراسة معاني الكلام إلى الدراسة اللغوية بعدما كان اهتمامها منصبا على البنية التركيبية، فإن دراسة معاني الكلام وفقا لمتطلبات السياق والمقام بظروفه المختلفة لم تكن غريبة عن النحاة العرب، حيث فرقوا بين المعنى الدلالي، والمعنى التداولي.

اتضح من خلال تطبيقات ابن الشجري أن أنظمة المعنى في العربية لا تقف عند حدود الصورة المباشرة للتراكيب، وأن المقام هو الموجه لهذه المعاني المستلزمة منها، فإذا لم تناسب الصورة الظاهرة أو المعنى الحرفي للتركيب تولد منها فعل إنجازي غير مباشر يوافق المقام، فالخبر بصورته الخبرية الظاهرة يحمل معاني مولدة مقاميا منها:" الأمر، النهي، أمر التأدب...إلخ .أما الاستخبار أو الاستفهام فهو وإن كان لطلب الاستعلام أو الفهم فقد ورد بمعان مباينة لذلك منها : الأمر، أمر التنبه، التوبيخ، الخبر المثبت، الخبر المنفي...إلخ ، وأن الضابط لخروجه إلى هذه المعاني أنه لو حمل على الظاهر لخالف المقصود كأن ينقلب المدح إلى ذم كما ذكر ابن الشجري، كذلك اتضح أن الكفاءة التداولية عند المرسل إليه لها دور كبير في فهم المعاني غير المباشرة التي تنتج عن صيغة الأمر.

كذلك اتضح من دراسة أسلوب الأمر أنه لابد من صيغة مخصوصة مع علو الرتبة، وأنه باختلاف جهات التخاطب تختلف التسمية من طلب إلى دعاء إلى مسألة وهكذا، وأن التراكيب النحوية التي ظاهرها يكون أمرا تحمل على معان متعددة وفقا لجهات التخاطب السابقة وهذه المعاني منها: الوجوب والندب والاستحباب...إلخ، كما تحمل على معاني الوعيد، والتأدب والإرشاد، والخضوع، وإظهار العجز أو التعجيز، والتنبيه على القدرة ...إلخ، وعلى المحلل مراعاة ذلك.

تبين من دراسة ابن الشجري للنهي أن بينه وبين الأمر اشتراكا في طلب صيغة مخصوصة – هذا هو الأصل لكن ليس معنى هذا التزام التراكيب التي تدل على الأمر بهذه

الصيغة، فقد يأتيان بصيغة الخبر– مع علو الرتبة، كذلك وجود استرسال دلالي بين الأمر والنهي، وأن المرسل يستطيع أن ينجز أكثر من فعل من الأفعال اللغوية في آن واحد، من خلال التلفظ بأحدهما.

كذلك قدم ابن الشجري صورة تطبيقية وعملية لدراسة النداء تجاوزت ما هو منصوص عليه في كتب النحاة من دعاء للقريب أو البعيد، ونداء المفرد والمضاف والشبيه به حتى إنه لم يذكرها إلا مرة واحدة، وكان جل تركيزه على الاعتراض على أصحاب المعاني الذين جعلوا النداء متمركزا دلاليا في معنى " دعوة المنادى للإقبال والتنبيه "وقال بأن هناك معاني تداولية إلى جانب هذا المعنى الحرفي منها:" الخضوع والتضرع والتعظيم، المدح، الذم ، التوكيد، الشكوى ،التحذير، الدعاء، التوجع والتأسف، التعجب...إلخ.

اتضح أن خروج الخبر والاستخبار والأمر والنهي والنداء للمعاني المستلزمة مقاميا تتعلق جميعا بالجانب التهذيبي الذي أهمله مبدأ التعاون الذي أرساه جرايس، وتدخل ضمن المبادئ التي أضافها آخرون اعتراضا على ما قدمه جرايس مثل مبدأ " التأدب بقواعده الذي أرسته "لايكوف"، ومبدأ التأدب الأقصى الذي أرساه " ليتش"، ومبدأ التصديق الذي أرساه طه عبد الرحمن. كما رأينا أيضا من خلال تحليلات ابن الشجري لمعاني الكلام دور الخلفية المعرفية المشتركة على تنوعها، ودور السياق النصي والمقامي، في بيان الاستلزام الحواري.

ثبت بالمصادر والمراجع والدوريات العربية

مصدر الدراسة:

١- أمالي ابن الشجري: هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحَسَني العلوي، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي،مكتبة الخانجي، القاهرة،ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩١م.

المصادر والمراجع:

٢- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.

٣- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار أويا للطباعة والنشر، طرابلس، ط١، ٢٠٠٤م.

٤- الاستلزام الحواري في التداول اللساني، د.العياشي أدراوي، منشورات الاختلاف، دار الأمان الرباط، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

٥- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية"تأسيس نحو النص" د.محمد الشاوش،المؤسسة العربية للتوزيع،تونس،ط١، ٢٠٠١م.

٦- الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، د. خالد ميلاد، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٧- إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية، د. شكري المبخوت، مركز النشر الجامعي، كلية الآداب، جامعة منوبة ٢٠٠٦م.

٨- البحث اللساني والسيمائيات"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٦، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م .

٩- البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

١٠- التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق : علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ت.

١١- التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم د. حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١١م.

١٢- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية للأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

١٣- التحرير والتنوير لابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤ م

١٤- تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد لابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. عباس مصطفى الصالحي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٥- التداولية من أوستن إلى غوفمان: فيليب بلانشيه، ترجمة د. صابر الحباشة، دار الحوار للنشر، سوريا، ط١، ٢٠٠٧م.

١٦- تشكيل الخطاب الشعري دراسات في الشعر الجاهلي د. موسى ربابعة، دار جرير للنشر والتوزيع، ط١،١٤٣٢هـ: ٢٠١١م.

١٧- تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م .

١٨- شرح ديوان المتنبي للعكبري، تحقيق، مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي: دار المعرفة – بيروت.د:ت.

١٩- شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية: محمد بن محمد حسن شُرَّاب، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان،ط١، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧ م.

٢٠- شرح المعلقات السبع : حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، دار احياء التراث العربي، ط١ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.

٢١- صناعة الخطاب (الأنساق العميقة للتأويلية العربية) د. محمد بازِّي، دار كنوز المعرفة، عمان، ط١، ١٤٣٦هـ: ٢٠١٥.

٢٢- عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية لآليات التواصل والحجاج، د. عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٦م.

٢٣- الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري، تحقيق :علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – لبنان، ط٢.د:ت.

٢٤- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، آن ريبول، ترجمة مجموعة من الباحثين بإشراف د.عز الدين المجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م

٢٥- الكتاب لسيبويه، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٢٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٢٧- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٢٨- اللسانيات الاجتماعية عند العرب،د. هادي نهر، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط١ن ١٩٩٨م.

٢٩- اللغة والفعل الكلامي والاتصال مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين تأليف: زيبيلة كريمر، ترجمة د. سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.

٣٠- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.

٣١- مجمع الأمثال للميداني، تدقيق: أحمد علي حسن، وطارق الأشهب، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ ، ٢٠١١م.

٣٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ .

٣٣- معجم اللغة العربية المعاصرة : د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

٣٤- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠١٣م.

٣٥- نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام) أوستين، ترجمة عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، ط١٩٩١م.

الدوريات المحكمة:

٣٦- الأمر عند الأصوليين في ضوء التداولية، د.محمد مسعود علي، بحث منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، عدد ٧٠، سنة ٢٠١٣م.

٣٧- الاقتضاء في التداول اللساني: د. عادل فاخوري، بحث منشور بمجلة عالم الفكر – الكويت، مج٢٠، عدد٣ (أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر) ١٩٨٩م.